www.rewayti.net

احلام تتحقق

سافرت اوديتا مع صديقتها بينيلوب وعائلتها الى باريس بصفتها الخادمة الخاصة لبينيلوب، حيث ان هذه الأخيرة قد تركت وراءها حبيبها سيمون. في باريس وحيث كانت بينيلوب وعائلتها مدعوين إلى حفلة تنكرية، تمنت اوديتا لو تذهب الى هناك لترى ماذا يرتدي الاغنياء. فحدث لها ما حدث لسندريلا، إذ تركها الجميع في البيت وذهبوا إلى الحفلة. فقررت ان تستدين ثوباً وتضع قناعاً على وجهها كي تخفي بذلك شخصيتها التي اعجبت إيرل اوف هاوتون الذي حاول التقرب منها في الحفلة. لكنها في النهاية هربت منه كما هربت سندريلا من الأمير. واحست بأن أحد احلامها قد تحقق.

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١دينار - مصر: ٤جنيه - المغرب: ٨ درهم مغربي.

www.rewayti.net

باربرا كارتلاند

«باربرا كارتلاند» هي أشهر كاتبة روايات في العالم، وهي كذلك مؤرخة، وكاتبة مسرحية ومحاضرة ومتحدثة سياسية وشخصية تلفزيونية، وقد كتبت حتى الآن ٥٩٠ كتاباً بيع منها أكثر من ستمائة وعشرين مليون نسخة في كل أنحاء العالم.

لها أيضاً أربعة كتب عن سيرتها الذاتية، وكذلك سيرة والدتها وسيرة أخيها «رونالد كارتلاند» الذي كان أول عضو في البرلمان يقتل أثناء الحرب الأخيرة. وقد قدم لهذا الكتاب السير «ونستون تشرشل» وقد أعيد طبعه أخيراً مع مقدمة للسير آرثر برايانت.

وقد حطمت الرقم القياسي العالمي لنشر الكتب لمدة سنة عشرة عاماً، وذلك باصدارها ثلاثة وعشرين كتاباً في السنة، حصلت على لقب (حاملة وسام الشرف البريطاني) سنة ١٩٩١ من يد جلالة الملكة، وذلك تقديراً لمساهمتها الأدبية ولسنوات قضتها في خدمة المجتمع.

سلسلة كتاب الجيب

باربرا كارتلاند

أ - ١٠٤

أحلام تتحقق

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.rewayti.net

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية:

DREAMS DO GOME TRUE

Copyright © Cartland Promotions 1981

ISBN 0-553-14750-1

الطبعة العربية الاولى عن مؤسسة النحاس ١٩٩٧

عنوان الطبعة العربية

أحلام تتحقق بقلم باربرا كارتلاند

ترجمة: بلقيس حرماني

سلسلة كتاب الجيب أ - ١٠٤

www.rewayti.net

الفصل الأول

١٨٦٩

سار سنوبال الهوينا في ذلك الطريق المترب متوخياً السرعة التي تروقه دون اعتبار لراكبته وما قد تفعله إزاء ذلك. وتصورت أوديتا نفسها ممتطية صهوة جواد فحل أسود يسير بها بسرعة قوية فوق الحقول نحو القصر.

ولم تكن تنتظر، حين تصل إلى هناك، أن تجد اللورد والمر أو زوجته اللايدي، بل ماركيزاً أو دوقاً فاتناً خلاباً سيدعوها للتعرف إلى أصدقائه.

وهم سيكونون أناساً بالغي الظرف يروون القصص الحلوة والدعابات المضحكة.

كان هذا أحد أحلام اليقظة عند أوديتا، لأنها لمرتين أو ثلاث على الأقل في الأسبوع، كانت تمتطي صهوة سنوبال.

ولم يكن ثمة فائدة من الشعور بالغيظ لإبطائه هذا، فقد كان حصاناً عجوزاً. وكان من الأسهل عليها أن تتصوره حصاناً عربياً بالغ النشاط والحيوية فتراه كذلك حقاً.

وصلت إلى البوابة الحديدية، وجعل هذا الحصان يسرع في سيره قليلاً في المرج الأخضر تحت الأشجار.

ولكن، بينما كانت أوديتا تفضل السير على الأرض

www.rewayti.net

المعشوشبة، فقد كان سنوبال، بخلافها، يفضل اتخاذ الطريق المباشر إلى المنزل حيث أنه كان يعلم، أنه بعد ذلك، سيذهب ليرتاح في مربطه في الإصطبل، في انتظار سيدته.

وكانت أوديتا واثقة من أنه يدرك أن الشعير والشوفان الذي يقدمونه له علفاً في القصر، هو أفضل نوعاً من ذلك الذي يقدمونه له في البيت.

وأخذت تحدق في القصر أمامها وقد تخلت عن جهودها في محاولة إقناع الحصان بالسير على العشب. كان يبدو بالغ الروعة بحجارته الرمادية الموشاة بأشعة الشمس الذهبية. وعلى كل حال، لم يكن هذا هو قصر أحلامها والذي كان أكثر اتساعاً، وقد بناه المهندس الشهير روبرت آدم، وليس ذلك المهندس المغمور الذي بنى هذا القصر في أوائل هذا القرن.

وعلى كل حال، كان هذا القصر في نظر أوديتا، بالغ الإتساع والفخامة بالنسبة إلى بقية القصور.

وحدثت نفسها قائلة، لو كان لديّ المال، لكنت أعدت زخرفة غرفة الإستقبال بالذهب والفضة، واستبدلت ذلك السجاد الأحمر البشع الذي يكسو السلالم داخل المنزل، بسجاد أزرق قاتم.

وكان يسرها جداً أن تتصور كيف يمكنها أن تحسّن منازل الآخرين.

وكانت، عندما تقع نظراتها على النساء الآخريات، سواء كن عجائز أم شابات، كانت تتصور على الفور كيف يمكنها أن تحسّن من مظهرهن وذلك بجعلهن يرتدين ملابس أجمل من تلك التي عليهن.

وعلى كل حال، كان الشخص الوحيد الذي لم تكن تفكر في تغيير مظهره، هو اللايدي والمر صاحبة المنزل.

وعندما وصل سنوبال إلى الباب الأمامي، كانت لا تزال تتساءل عما عسى أن تكون اللايدي والمر مرتدية الآن، عصر هذا النهار.

وما أن ترجلت أوديتا عن ظهر الحصان، حتى تقدم خادم الإصطبل والذي يبدو أنه كان في انتظارها، وأخذ يربت على رأس سنوبال وهو يقول: «مساء الخير يا آنسة.»

«مساء الخير يا جو. هل الآنسة بينيلوب في الداخل؟»

فأجاب: «أجل انها موجودة يا آنسة.» ودون أن يضيّع المزيد من الوقت في الحديث، قاد سنوبال متجهاً به إلى الإصطبل.

وصعدت أوديتا الدرجات.

كان الباب مفتوحاً، ولم يدهشها أنها لم تجد أحداً في المنزل. وتوقعت أن يكون رئيس الخدم بيتمان ما يزال مشغولاً في التنظيف بعد الغداء.

ولكن لم يكن ثمة حاجة إلى أن يعلن عن قدومها أحد، فقد كانت تعرف طريقها إلى أعلى السلالم حيث غرفة الجلوس في الطابق الأولى، والتي كانت يوماً ما غرفة الدرس، والآن، بعدما كبرت بينيلوب، حوّلت إلى غرفة جلوس.

فتحت الباب حيث كانت تتوقع أن ترى بينيلوب بانتظارها وقد ارتدت ذلك الثوب الذي يظهرها على شيء من البدانة والذي لم تكن أوديتا تحبه.

ليس فقط لأن لونه لم يكن مناسباً لشعر بينيلوب الداكن اللون، أو لبشرتها الشاحبة، وإنما هو أيضاً يبدي خصرها

www.rewayti.net

أكثر سمنة من طبيعته، ويؤكد حقيقة أنها أقصر قامة وأكثر بدانة من المرغوب فيه في هذا العصر.

أما بالنسبة إلى بينيلوب، فقد كان المهم عندها الآن هو وصول أوديتا، وعندما فتح باب غرفة الجلوس، قفزت واقفة وهي تهتف قائلة: «لقد كنت أراقب الطريق لأرى قدومك، لا بد أنك وصلت عندما كنت أنا في الطابق الأسفل.»

فقالت أوديتا باسمة: «إنك تعرفين مبلغ بطء سنوبال.»

«وها أنت ذي هنا الآن. إن لدي شيئاً هائلاً أريد أن أخبرك به.»

فبدت الدهشة على وجه أوديتا. فبالأمس فقط كانت هنا، ولم يكن قد حدث شيء غير عادي.»

فسألتها: «وما هو؟»

«نحن سنذهب إلى باريس.»

فهتفت أوديتا بدورها: «إلى باريس؟ ما هذا الخبر؟ ولكن لماذا؟»

«لقد طلب رئيس الوزراء من أبي الذهاب إلى هناك لحضور مؤتمر وما أشبه، وأنا وزوجة أبي سنذهب معه.»

فقالت أوديتا: «إنه أكثر الأشياء التي سمعتها، بهجة. يالك من فتاة محظوظة.»

ولكنها دهشت وهي ترى بينيلوب تدير وجهها وقد بدت عليها الكآبة، ثم تقول: «ولكنني لا أحب الذهاب.»

فقالت أوديتا: «لا تحبين الذهاب، هل يمكنك حقاً أن تنطقي بمثل هذا القول؟»

فألقت بينيلوب نظرة على الباب لترى إن كان مغلقاً، ثم قالت: «تعالي وأجلسي بجانبي. إن لديّ ما أخبرك به.»

فدهشت أوديتا للطريقة التي قالت الفتاة بها هذا، ولكنها أطاعت وسارت نحوها برشاقة لا تتمتع بها صديقتها بينيلوب، للأسف، ثم جلست بجانبها على الأريكة الوثيرة بجانب النافذة.

خلعت قبعتها القش البسيطة، فسقطت أشعة الشمس على شعرها الذهبي ما جعلته يتألق بالنور. كان الفرق شاسعاً بين الفتاتين. فقد كانت اوديتا شارلوود بالغة الرشاقة وأطول كثيراً من صديقتها، وذات ملامح حلوة تُظهر مزاياها الحسنة.

كانت نظرات عينيها الرماديتين تظهران أنها تمضي نصف وقتها في عالم من تصوراتها الخاصة. ولكن كان هناك غمازة في كل خد ما يسبغ على أساريرها، حين تضحك، لمحة من المكر بالغة الجاذبية.

ولكنها، وهي تسألها، كانت جادة تماماً: «ما الذي تخفينه عني، يا بينيلوب؟ لا أستطيع أن أصدق أنك لا تريدين حقاً أن تذهبي إلى باريس.»

ومرة أخرى، نظرت بينيلوب من فوق كتفها وكأنها تخاف من أن يسمعها أحد، ثم قالت: «كنت سأخبرك... سواءً عاجلاً أم آجلاً، يا أوديتا... وهو أنني قد وقعت في... الغرام.»

فحدقت أوديتا بها ذاهلة، ثم سألتها: «في الغرام؟ ومن هو ذلك الشخص؟»

وأثناء سؤالها هذا، كان عقلها يستعرض الرجال الذين يترددون على المنزل لتعلم من عسى أن يكون ذلك الذي منحته بينيلوب قلبها.

www.rewayti.net

وطبعاً، كان آل والمر يستضيفون الكثير من الناس، إذ أن اللايدي والمر كانت مغرمة بالجلسات الاجتماعية وتمضي أكثر اوقاتها في لندن حيث ان زوجها يسمح لها بذلك. ولكن أصدقاءها كانوا جميعاً متزوجين، مثلها هي.

ولأن أوديتا كانت تمضي الكثير من وقتها في هذا المنزل، لم تغفل حقيقة أنه كان هناك كثير من الرجال ذوي المركز الاجتماعي والبالغي الأناقة يتوددون إلى زوجة والد بينيلوب. ولكن ليس منهم من أظهر أقل اهتمام في بينيلوب، كما أنه، على حد علمها، لم يكن أي منهم عازباً.

وطبعاً، كانت أكثر لباقة ورقة من أن تشير إلى ذلك، ولكنها كانت، في الواقع، بالغة القلق على بينيلوب التي كبرت الآن وما زالت في البيت.

لقد كانت زوجة أبيها دون شك، أكثر جاذبية منها، كما أنها لم تكن تقبل بأن ترافقها ابنة زوجها إلى المجتمعات.

ولسوء الحظ، لم تكن بينيلوب تشبه أمها التي توفيت منذ سنتين، بل كانت تشبه أباها.

كان اللورد والمر أسمر اللون، ضخم الجسم، فوق الستة أقدام طولاً، وكان وسيم المظهر تماماً. بصفته رجلاً، ولكن ملامحه على إمرأة لم تكن جذابة، كما أن قوام ابنته الغليظ لم يكن له صلة بالرشاقة. ومع هذا، فقد كانت اوديتا تعلم ان بينيلوب ذات طبع رضيّ لين وقلب محب لأولئك الذين تهبهم حنانها، والأخلاص كان أهم سجاياها.

وعلى كل حال، فقد كانت متحفظة خجول، ربما لأن أمها لم تكن موجودة لتساعدها وترشدها. وهكذا تعلقت بأوديتا التي كانت يتيمة الأم مثلها، ولكن لم يكن

لديها زوجة أب تجعل حياتها صعبة بمختلف الطرق.

وعندما لم تتكلم بينيلوب، عادت أوديتا تسألها: «من هو هذا الذي تحبينه؟»

فأجابت بينيلوب بصوت لا يكاد يسمع: «إنه... سيمون جونسون... وهو أيضاً... يحبني، يا أوديتا. لقد أخبرني بذلك... أمس.»

فذهلت أوديتا، كما لا بد أن تفعل.

لقد كان سيمون جونسون هو الابن الأصغر لرجل يدعى سكواير جونسون يسكن في ضاحية قرية صغيرة من منطقة أدنهام وكانت أوديتا تعرفه طوال حياتها. وكانت تراه دوماً شاباً بليداً بالغ الجدّ. فكانت من الذهول لهذا الحب المتبادل بينه وبين بينيلوب ما جعلها لا تستطيع التفكير في شيء تقوله.

بعد صمت طويل، سألتها: «ولكن... أين تقابلتما... وكيف عرفته... إلى حد كاف؟»

ذلك أنها كانت تعلم أن لا سكواير جونسون ولا أولاده قد اعتادوا تلقي دعوات إلى هذا المنزل، ما عدا لرؤية اجتماع كلاب صيد الثعالب، أو عندما يتعلق الأمر بسباق الخيل.

وقالت بينيلوب وهي تلهث قليلاً: «كل ذلك حدث... منذ شهر. كنت أتنزه ذات صباح مع سام عندما أخذ حصانه يعرج.» وكان سام أحد سائسي الخيل وكان عادة يرافق بينيلوب أثناء نزهاتها على ظهر جوادها.

وتابعت الفتاة: «لقد جرّ سام حصانه عائداً به إلى الإصطبل، فبقيت وحدي.»

وسكتت تجذب أنفاسها، ثم عادت تقول وقد أصبح

www.rewayti.net

وجهها العادي الملامح جميلاً للغاية: «لقد قابلت سيمون وكان يحمل رسالة من أبيه... ثم أخذنا نتحدث وقد أخبرني عن مجموعة الجراء التي ولدتها كلبته حديثاً.»

وكانت أوديتا تستمع باهتمام، بينما كانت بينيلوب تتابع قائلة: «قال إنه يريد ان يريها لي. وطبعاً، أردت أنا أن أراها. ولكنني كنت أعلم أنني إذا طلبت من أبي أن أزور أسرة جونسون، فستحدث ضجة عندنا في البيت.»

فسألتها أوديتا رغم معرفتها بالجواب: «وماذا فعلت إذن؟»

«لقد قال سيمون انه سيحضر عربة يأخذني بها، إذا أمكنني أن أسير إلى طرف الغابة.»

وكانت أوديتا تستمع ذاهلة. لم تكن من عادة بينيلوب مثل هذه الجرأة أو التصرف بما يغاير الأعراف.

«وهكذا ذهبت وحدك؟»

فأجابت بينيلوب: «قلت إن لديّ صداعاً وأريد الإستلقاء قليلاً بعد وجبة الشاي.»

كانت هذه فكرة لامعة، كما رأت أوديتا، حيث أن زوجة أبيها لم تكن تقبل بحضور بينيلوب إذا كان لديها ضيوف، بينما إذا كانت الأسرة وحدها، كانت زوجة الأب تستلقي في غرفتها إلى أن يحين موعد العشاء، وذلك لكي تبدو في أحسن مظهر، خصوصاً إذا كانت هنالك حفلة.

وقالت أوديتا: «وهكذا رأيت الجراء؟»

فأجابت بينيلوب: «في الحقيقة، لم أرها. فقد سارت بنا العربة خلال الغابة حيث لم يكن من المحتمل أن يرانا أحد، كما أن سيمون قال إنه فكر في أن من الخطأ أن أذهب إلى

بيته، فقد يتحدث بذلك أبوه أو أمه فيعلم أبي بأنني كنت هناك.»

فقالت أوديتا: «طبعاً كان أبوك سيراك مخطئة في الذهاب معه بمفردك.»

فقالت بينيلوب: «نعم. أعلم ذلك. ولكن عندما أخبرني سيمون بشعوره نحوي، أدركت أن عليّ أن أتوخّى الحذر التام في حال رغبت في الإستمرار في رؤيته، وهذا ما فعلت.»

فسألتها أوديتا بفضول: «شعوره نحوك؟»

فتألقت عينا بينيلوب: «لقد قال إنه كان دوماً معجباً بي حين كان يراني في الصيد، وكان يريد أن يتعرف عليّ. ثم إذا به، في الليلة الماضية، وكنا في اجتماعنا السادس أو السابع، إذا به يقول... إنه يحبني.»

فقالت أوديتا: «لقد حدث هذا بسرعة بالغة.»

فهزت بينيلوب رأسها: «كلا، في الواقع. فنحن جيران منذ ثمانية عشر عاماً. والآن، عندما أتذكر الماضي، أجد أنه كان يلفت نظري... دوماً كلما رأيته. وقد سألت أبي مرة إذا كان باستطاعتنا أن ندعو أولاد جونسون إلى إحدى حفلاتنا.»

«وبماذا أجاب؟»

أجابت بينيلوب: «لقد سكت لحظة، ثم قال إن سكواير جونسون رجل مهذب محترم، ولكنه، اجتماعياً، ليس من طبقتنا.»

وتنهدت أوديتا لأن هذا هو الجواب الذي كانت تتوقعه من اللورد والمر، ولكن قبل أن تجيب، قالت بينيلوب بلهجة

www.rewayti.net

متوسلة: «أخبريني ماذا عليّ أن أفعل، يا أوديتا؟ فأنا أحبه وأريد أن... أتزوجه.»

كان في صوت بينيلوب توسل لم تغفل عنه أوديتا، فمدّت يديها تمسك بيدي صديقتها مواسية، وهي تقول: «سيكون الأمر صعباً، يا عزيزتي بينيلوب.»

فقالت هذه: «أعلم ذلك. ولكن مهما أصرّ أبي عليّ في زواج اجتماعي لامع، فلن أقبل، لقد عاهدت نفسي بألا أتزوج رجلاً سوى... سيمون.»

فبان القلق على أوديتا.

كانت تعلم أن اللورد والمر هو رجل غني، وبينيلوب هي ابنته الوحيدة. فهو، بطبيعة الحال، يريدها أن تتزوج رجلاً ينال رضاه ورضى المجتمع، وكانت تعلم، كما تعلم بينيلوب، أن سيمون ليس من هذا المستوى.

وحيث أنه كان عليها أن تقول شيئاً، فقد شدّت على يدي صديقتها، وسألتها: «ألا ترين يا عزيزتي، أن من الحكمة أن تحاولي نسيان سيمون؟ ربما سيمكنك ذلك في باريس.»

فأجابت بينيلوب: «لن أنساه ولو قابلت مليون رجل. فأنا أعلم أنه الشخص الملائم لي. وأنا، كما قال هو، الفتاة الملائمة له، إنه شيء لا يمكن توضيحه بالكلمات. إنه شيء نشعر به... نحن الإثنان.»

فقالت أوديتا بصوت خافت: «هذا ما يجب أن يكون عليه شعورك نحو الرجل الذي ستتزوجينه.»

فقالت بينيلوب: «كنت أعلم أنك ستتفهمين وضعي. ففي القصص التي كنت تحكينها لي عندما كنا صغاراً، أن الحب هو الذي يفوز في النهاية، وأن الرجل يظفر بالفتاة التي

يريد أن يتزوجها حتى ولو كان فقيراً ورث الثياب.»

وأضافت بصوت مفعم بالمشاعر: «إن شعوري نحو سيمون هو إحدى حكاياتك الخرافية التي تحققت، يا أوديتا.»

فهتفت أوديتا تقول: «آه، يا عزيزتي. إنني أريدك أن تكوني سعيدة. ولكنك تعلمين كم سيكون هذا صعباً على أبيك.»

فأظلمت عينا بينيلوب: «نعم، أعلم ذلك. كما أن سيمون يقول إن من الخطأ أن نخبره الآن وأن علينا أن ننتظر. فإذا كان من الصعب أن يقبل أبي بهذا الزواج، فسنهرب معاً.»

فقالت أوديتا ذاهلة: «تهربان؟»

فأومأت بينيلوب قائلة: «إننا سنختبىء إلى أن نستطيع أن نتزوج. ومن ثم ربما أصبح أنا حاملاً، عند ذلك سيجد أبي من الصعب أن يفرق بيننا».

وصعقت أوديتا. ليس لكلام بينيلوب هذا، ولكن لخطتها هذه التي وضعتها.

لقد كانت دوماً تبدو لها فتاة بسيطة ضحلة الخيال. وكانت أوديتا هي القائدة لها. القائدة والمخططة، ليس في اللعب معاً، ولكن في كل شيء فكرتا فيه منذ كانتا صغيرتين.

وحيث أن الأسر كانت قليلة العدد في تلك الناحية الريفية المنعزلة نوعاً ما من إقليم لينكولنشاير وحيث أن بينيلوب وأوديتا كانتا من نفس العمر، فقد لعبتا معاً منذ الطفولة، ثم أصبحتا صديقتين حميمتين فيما بعد.

كانت زوجة اللورد الأولى شديدة الولع بوالدة أوديتا. وكان تدبيراً معقولاً أن يكون للفتاتين مدرسة واحدة.

www.rewayti.net

في الصيف والشتاء، في الصحو والمطر، كانت أوديتا تأتي إلى هذا المنزل، حيث تكون بينيلوب ومدرستها في انتظارها في غرفة الدرس.

وبعد عام من وفاة اللايدي والمر، تزوج اللورد مرة أخرى، فتغيرت الأحوال. فقد أوضحت الزوجة الجديدة أنها لا تحب أوديتا.

فقد قالت لزوجها: «لا بد أن يكون هناك أصدقاء لبينيلوب يمكنها أن تمضي وقتها معهم، ولا بد أنهم أكثر ملاءمة لها من تلك الفتاة اوديتا.»

فأجابها اللورد: «إن أوديتا هي فتاة صغيرة لطيفة وبينيلوب تحبها جداً.»

قالت الزوجة بحدة: «قد يكون هذا صحيحاً. ولكن بينيلوب عليها أن تخرج إلى المجتمع وكلما أسرعنا في العثور على زوج مناسب لها، كان ذلك أفضل.»

فقال اللورد: «ليس هناك ضرورة للسرعة.»

فأجابت الزوجة: «بالعكس، كلما أسرعت الفتاة بالزواج، كان ذلك أفضل. وبصراحة، أنا لا أحب أن يكون معنا شخص ثالث. فأنا أريد أن أكون، وإياك، بمفردنا».

فسرّ اللورد بغزل زوجته هذا معه، ولما لم يكن رجلاً فطناً، لم يخطر بباله أنها كانت تكره مرافقة فتاة شابة في الوقت الذي كانت تريد أن تعتقد فيه أنها ما زالت شابة هي أيضاً.

ولكن اللايدي والمر قد أعملت عقلها في أن أسرع طريقة في التخلص من هذا العبء الذي يمنعها من الحركة، وهو ابنة زوجها، هو أن تجعل بينيلوب تتزوج وتخرج من البيت.

أما الصعوبة، طبعاً، فقد كانت في بينيلوب نفسها.

كانت اللايدي والمر تدرك قبل أي شخص آخر، أن الفتاة غير جميلة، وبليدة، وليست غنية بما فيه الكفاية للساعين وراء المال.

وعلى كل حال، فقد بذلت جدها في أخذ الفتاة إلى لندن، وشراء أغلى الثياب لها من أمهر الخياطين هناك.

ثم أقامت بعض حفلات العشاء في منزل اللورد والمر في ساحة بيركلي في لندن، كما أخذت بينيلوب إلى عدد من الحفلات حيث كانت تمكث معظم الوقت بجانب إحدى الأرامل، بينما زوجة أبيها تلهو وتمتع نفسها طوال الوقت.

وعندما عادتا إلى الأرياف، قالت بينيلوب تحدث أوديتا: «كانت رحلة فظيعة كرهت كل لحظة فيها. وإذا كان عليّ أن أعود إلى لندن مرة أخرى، أقسم بأنني سأغرق نفسي في البحيرة.»

أما أوديتا، والتي كانت تركت وحدها، فقد شعرت برغمها، بشيء من الحسرة واللهفة إلى فرصة مثل هذه تتفرج فيها على لندن وتتمكن من حضور حفلة واحدة على الأقل من تلك التي وجدتها بينيلوب مملة غير سارة. فلطالما سمعت عن سيدات يرتدين ملابس رائعة الجمال في الحفلات المتألقة بالأنوار فتتصور روعة حركاتهن، وتألق الحليّ على رؤوسهن وحول أعناقهن وأذرعتهن.

ولكن رأي بينيلوب في هذه الأمور لم يكن بالشكل الذي كانت أوديتا تحلم به. والأكثر من هذا، أن أوديتا كانت ترى أن أثواب صديقتها كان يمكن أن تكون أجمل من ذلك.

ألقت على صديقتها نظرة مجردة، فرأت أنها تتمتع بعينين جميلتين تشعان إخلاصاً.

www.rewayti.net

كانت بشرتها بيضاء نقية، ولكن لأنها كانت قصيرة القامة، فقد جعلتها التنانير الواسعة تبدو أقصر وأقل جاذبية منها في الملابس العادية.

وما لبث أوديتا أن أخذت تتساءل عما يمكن أن يكون البديل لهذا الطراز من التنانير والتي ترتديها كل النساء.

والآن، حيث أصبح هناك حكاية حب كانت تعلم أنها أدخلت شيئاً غير عادي في حياة، بينيلوب لم تكن تعرفه من قبل، فقد قالت لها: «إنني أدرك كنه مشاعرك، يا عزيزتي، وسأساعدك... إنك تعلمين أنني سأفعل هذا، إذا أنت شئت. ولكن إقناع والدك بالقبول بزواجك من سيمون جونسون سيكون أمراً بالغ الصعوبة.»

فقالت بينيلوب ببساطة: «إنه لن يقبل إطلاقاً. ورغم أن سيمون يقول إن علينا أن لا نستعجل الأمر، فأنا أعلم أنه، عاجلاً أم آجلاً، علينا أن نواجه غضب أبي الشديد إما بإخباره أنني أريد أن أتزوج من سيمون جونسون، وإما أن أخبره بأننا قد تزوجنا وانتهى الأمر وفات أوان القيام بأي شيء ضده. والآن، إنك تدركين السبب في عدم رغبتي في الذهاب إلى باريس.»

«ولكنك مجبرة على الذهاب.»

«ربما بإمكان سيمون أن... يمنع ذلك.»

فلم تجد أوديتا الأمر ممكناً، فسألتها: «متى ستقابلينه؟»

فنظرت بينيلوب إلى ساعتها، وقالت: «بعد نصف ساعة.»

«بعد نصف ساعة؟ وأين سيكون ذلك؟»

«في المكان المعتاد في نهاية الغابة، وهذا هو السبب في انني أرسلت السائس إليك برسالة مني حالما ذكر أبي على مائدة الإفطار هذا الصباح أننا سنسافر إلى باريس. إنني أعلم مبلغ مهارتك، يا أوديتا، وأنا واثقة من أن بإمكانك أن تفكري في طريقة ما، تمكنني من البقاء في البيت.»

«أتريدينني أن آتي معك وأتحدث إلى سيمون؟»

فأجابت بينيلوب: «طبعاً. لقد كنت أريد أن أحدثك عنه أمس، ولكن، كما تذكرين، بقيت زوجة أبي تروح وتجيء في البيت ما جعلني أخاف من أن تسمع ما نقول.»

«من الحكمة أن لا ندعها تعلم شيئاً في الوقت الحاضر.»

فقالت بينيلوب: «إنها تريدني أن أتزوج وكأنما تريد أن تبعدني من طريقها، ولكنني واثقة من أنها ستفكر في أن أسرة جونسون هي أقل من مستواها.»

وكان أوديتا تعلم أن هذا صحيح.

وعادت بينيلوب تقول بغضب: «إنني أعلم أنني سأحبهم. وسأكون في غاية التعاسة إذا توجّب عليّ أن أتزوج واحداً من أولئك الرجال الفظيعين الذين قابلتهم في لندن. لا أستطيع أن أشرح لك، يا أوديتا، إلى أيّ حدّ كانوا مزعجين. كانوا مملين وأنانيين.»

كانت أوديتا قد سمعت بهذا من قبل. ولكنها أدركت أن بينيلوب قد امتلأ قلبها حقداً نحوهم.

وفي نفس الوقت كانت من الفطنة بحيث تدرك أنه مهما كانت طبيعة شعورها، فإن أباها لا يمكنه أن يعتبر أن رجلاً مثل سيمون جونسون هو جدير بأن يكون صهره.

www.rewayti.net

وقبل أن تتمكن من الكلام، قفزت بينيلوب واقفة: «هيا بنا، ولنبدأ بالسير خلال الغابة. لا أحد سيرتاب في أننا نقوم بشيء غير عاديّ، وأنا أعلم أن زوجة أبي تنتظر الكثير من الضيوف المملين.»

فقالت أوديتا بسرعة: «وعلى كل حال، فهي لا تريدني هنا.»

فصرخت بينيلوب: «كلا، طبعاً. وكذلك كنت قد اخبرت الخدم بأننا سنتناول الشاي في هذه الغرفة. فإذا كانت لا تريدك، فهي لا تريدني أنا أيضاً.»

كانت أوديتا قد رأت البعض من أصدقاء اللايدي والمر. وكان أكثرهم لا يسكنون في الإقليم، ولكنهم يمكثون في بيوت هؤلاء القليلين من الجيران الذين يعجبونهم.

وقد استطاعت أوديتا أن تتفهم كيفية شعور بينيلوب بينهم. كانت اللايدي والمر مشهورة بجمالها. وعندما كانت صغيرة السن جداً، تزوجت من رجل فقير.

وما لبث زوجها أن قتل أثناء ركوبه للخيل، والقفز فوق الحواجز تاركاً إياها مفلسة تماماً لا تملك سوى جمالها.

وجاءتها نجدة في شخص اللورد والمر الذي كان فجع حديثاً بفقدان زوجته، فتملكته التعاسة بعد زواج طويل سعيد. وكان مقعده قرب مقعدها في حفلة عشاء، فكان أن سقط صريع جمالها.

وهكذا تزوجا في خلال شهرين، ووجدت بينيلوب نفسها مع زوجة أب مختلفة كل الإختلاف عما كانت عليه أمها.

ولم تخف اللايدي والمر كرهها لحياة الريف ورغبتهافي قضاء كل وقت ممكن في لندن.

ولكن اللورد والمر كان واجبه في إدارة أراضيه، فوق كل شيء. ورغم كل الاحتيالات التي استعملتها زوجته، فقد أصرّ على قضاء شهور طويلة في منزله الريفي.

وكانت أوديتا واثقة من أن الشخص الوحيد الذي سيكون في غاية السرور للسفر إلى باريس، هو اللايدي والمر. وقد ثبت هذا عندما كانت الفتاتان تهبطان السلم نحو نزهتهما في الغابة، فقابلتا اللايدي والمر في القاعة.

وعندما حييتها أوديتا، قالت هذه ببرود: «مساء الخير أظنك كنت في الأمس هنا؟»

فأجابت أوديتا: «هذا صحيح، يا سيدتي.»

فقالت اللايدي: «لا بد أنك ستشتاقين إلى بينيلوب عندما تسافر إلى باريس. أظنها أخبرتك بمبلغ ابتهاجنا جميعاً لهذا.»

فأجابت أوديتا: «نعم، يا سيدتي. ولا يمكنني أن أتصور ما هو أكثر بهجة من زيارة باريس ورؤية كل التحسينات التي أجريت في المدينة.»

فضحكت اللايدي ساخرة وهي تقول: «ليست هي التحسينات التي تهمني، بل الفرصة التي حصلت لي لزيارة مسيو وورث مصمم الأزياء المشهور وشراء ملابس لائقة منه. أتعلمين بأن طراز التنورة الواسعة قد أصبح قديماً، وأنه قدم تصميمات جديدة لأزياء لم تصل بعد إلى لندن؟»

ولأن اللايدي كانت تتحدث في موضوع ممتع بالنسبة إليها، فقد انطلقت على سجيتها في الحديث مع أوديتا بكل بشاشة، وهو شيء غير عادي بينهما.

www.rewayti.net

وهتفت أوديتا: «هل أصبحت التنورة الواسعة طرازاً قديماً؟ يا للغرابة.»

«هذا ما أعلنه مسيو وورث. وأول ما سأقوم به عند وصولي إلى باريس، هو شراء عشرات من الأثواب الحديثة الطراز.»

فقالت أوديتا: «كم سيكون ذلك ممتعاً. ليس شراء الأثواب فقط، وإنما رؤية مسيو وورث نفسه، إذ هو، كما تعلمين يا سيدتي، مولود في انكلترا في بورن.»

كانت تقول هذا، ظناً منها أن اللايدي والمر تعرف ذلك، ولكن هذه نظرت إلى أوديتا بدهشة بالغة وهي تقول: «في بورن؟ كيف عرفت ذلك؟»

فأجابت أوديتا: «إن كل شخص في هذه الأنحاء يعلم ذلك. فقد كان والده يعيش في شارع نورث ستريت.»

فقالت اللايدي: «لم أكن أعلم هذا. ولكن عندما أصل إلى باريس سأخبره بكل تأكيد بأنني أحب تلك المدينة مسقط رأسه.»

ورأت أوديتا أن اللايدي كانت مسرورة لحصول هذه الفرصة لها لاجتذاب اهتمام ذلك الرجل الشهير.

لم يكن في هذا الجزء من اقليم لينكولنشاير من يجهل أن تشارلس وورث الذي كان والده محامياً في القرية القريبة من هود لينغهام قد استعاد الاحترام لإسم أسرته وذلك بعد أن كان والده قد أشهر أفلاسه وهجر زوجته وأولاده.

وكانت قصة نجاح تشارلس وورث قد أصبحت شائعة، ليس فقط في مدينته، بل في كل القرى القريبة، وفي السنوات الأخيرة كان من النادر أن يجيء أحد لزيارة والدي

أوديتا، دون أن يأتي على ذكر نجاح ذلك الشاب تشارلس وورث الذي أصبح أول مصمّم لملابس السيدات في العالم.

وكثير من السيدات الكبيرات في السن قد صدمن لهذا الخبر.

وقد سمعت أوديتا أحداهن تقول لأمها عندما انتشرت القصص في مدينة بورن عن الأثواب الرائعة التي صنعها بنفسه للأمبراطورة أوجيني ولغيرها من نساء باريس الفاتنات، سمعتها تقول: «هذا أما أسميه أنا عدم احتشام.»

وكانت أمها قد أجابت برقة: «إنه أمر غير عادي حقاً.»

«يقولون إنه يأخذ ثمن الثوب الواحد مائة جنيه، يا سيدة تشارلوود. فكري في هذا. إنها فضيحة بالنسبة لأي إمرأة، حتى الأمبراطورة نفسها، أن تنفق مثل هذا المبلغ على شراء ثوب.»

وكان على أمها أن توافق المتحدثة على ما تقوله. ولكن الحكايات التي كانت تتحدث عن تلك الأثواب الجميلة المثيرة للخيال التي كان وورث يصنعها لسيدات باريس، قد أثارت مخيلة أوديتا.

وكان إسم تشارلس وورث يندس في أي حديث يدور بين زبونة تشتري البيض من بقالة، أو الأزرار وشرائط الحرير من متجر صغير.

لم يكن من المدهش أن يلهب خيال سكان تلك المدينة الهادئة.

وبالنسبة إلى أوديتا، فقد كانت قصة نجاح وورث تشبه إحدى تلك القصص التي كان خيالها يؤلفها. في البداية، بعد أن هجر الوالد أسرته، ووجدت الأم عملاً هو مديرة منزل، لا

www.rewayti.net

بد أن الحظ السعيد هو الذي أوحى إلى تلك الأم بأن ترسل ابنها ليعمل عند أحد تجار الأقمشة النسائية في لندن.

وكانت كل نساء المدينة يعلمن أنه جمع أجرة سفره إلى لندن بصنعه لهن قبعات نسائية شرقية الطراز. وقد حاولت أوديتا أن تعرف شكل تلك القبعات ولكن لم يخبرها به أحد.

أما ما كانوا أخبروها، مراراً وتكراراً، فهو بأنه عند وصوله إلى لندن، وجد عملاً كتلميذ مهني في متجر «سوان وادغار»، حيث بقي سنوات يعمل في المتجر ذاك وينام تحت المنضدة.

وكم كان الأسى يتملك أوديتا وهي تفكر في مبلغ ما عاناه من آلام وحرمان، فقد كانت تشعر بالألم وهي تفكر في ما كان عليه أن يقاسيه منذ حداثته.

وشرد بها التفكير في وورث وما كانت تعرفه عنه، وذلك للحظة قصيرة، سمعت بعدها اللايدي والمر تقول بحدة: «أتراك تخبريني بالحقيقة، يا أوديتا، عن تشارلس وورث، أم أنها حكاية أخرى من حكاياتك التي تبتدعينها؟ إذا الأمر هكذا، فساكون في غاية الإنزعاج.»

فقالت أوديتا: «كلا، بل هي الحقيقة، ويمكن لأيّ شخص في بورن أن يخبرك بها.»

فأجابت اللايدي: «ليس في نيتي أن أتحدث إلى أهالي بورن عن وورث. ولكن بإمكانك أن تحديثني عن طفولته، لأنني أريد أن أعرف كل شيء عنه.»

وأدركت أوديتا أن ظنها كان في محله، وأن اللايدي والمر تحب أن تتودد إلى ذلك الخياط الشهير.

وفكرت في أن ما يدعو إلى السخرية، أن تتلهف إمرأة

معتدة بجمالها وذكائها، مثل اللايدي والمر، والتي لها مكانتها في لندن، أن تتلهف إلى التودد إلى رجل هو في تقديرها ليس أكثر من تاجر.

ولكن أوديتا كانت تعلم أن كل القصص التي تروى عنه، هي حقيقية، وأنه، في الواقع، شخص أنكى من كل هذا.

ورغم أنها لم تقابل قط تشارلس وورث، فقد كانت تعتبره جزءاً من حياتها.

والآن، فقد كان بمثابة صدمة أصابتها وهي تعلم أن في هذا المنزل شخصاً لا يعرف شيئاً عنه ما عدا أنه أشهر مصمم للأزياء في العالم، وأن ليس امبراطورة فرنسا فقط، بل كل ملكة في أوروبا كانت من زبائنه.

وفي هذه الأثناء، كانت اللايدي والمر تنتظر منها إسماعها المزيد عنه، وعندما ابتسمت أوديتا لها، أدركت أن بينيلوب كانت هي أيضاً تنظر إليها بإلحاح.

وقالت اللايدي والمر: «أريد الحقيقة، يا أوديتا. لا أريد أن أسمع الكثير من حكاياتك التي تبدو حقيقة. وأنا لا أقول إنها كاذبة، ولكن لا بد أنك تبالغين في قول الحقيقة، وتصويرها بشكل غير صحيح. فحذار مما تخبريني به، وإلا سأغضب جداً.»

فقالت أوديتا وهي تبتسم بتواضع: «من الصعب في الواقع، حذف بعض المبالغة، كما تسمين ذلك، يا سيدتي، من الحقيقة، ولكنني سأحاول أن أقدم لك الوقائع كما أعرفها، لأنني كنت أشعر دوماً بأن السيد وورث هو شخص مميز.»

فقالت اللايدي والمر: «وهكذا هو في الحقيقة. ثم إن الملابس التي يصممها خلابة الجمال إلى حد كبير وما

www.rewayti.net

سأشتريه من باريس سيكون مختلفاً تماماً عن كل ما اشتريته من قبل.»

فقالت أوديتا: «وستكونين بالغة الجمال وأنت ترتدينها.»

ولم يكن كلام أوديتا مجرد مجاملة، وإنما كانت تقول الحقيقة المجردة. ومنحتها اللايدي والمر ابتسامة ودودة، وذلك لأول مرة منذ معرفتها بها، وهي تقول: «إنني أريد أن أبهر باريس، ولا يمكنني ذلك إلا بمساعدة تشارلس وورث، هيا إذن، وحدثيني بالمزيد عنه. والأفضل أن تأتي إلى غرفة الجلوس معي.»

واجتازت اللايدي والمر القاعة، وهي تتحدث، وما أن أخذت أوديتا باللحاق بها حتى انتبهت إلى نظرة متلهفة رمقتها بها بينيلوب. وكانت تعلم أنها تتوق إلى الذهاب إلى حيث ينتظرها سيمون في نهاية الغابة.

ولكن أوديتا لم تكن تعلم فقط أن عليها أن تفعل ما طلبته منها اللايدي والمر، وإنما قد تكون فكرة حسنة، من وجهة نظر بينيلوب، في أن تلطف من مزاج اللايدي.

ولهذا، منحت بينيلوب ابتسامة مطمئنة، وحرّكت شفتيها بشكل فهمت هذه منه أنها لن تتأخر.

ثم دخلت غرفة الجلوس حيث كان تعلم أن اللايدي والمر كانت تنتظرها بفارغ الصبر لتسمع منها ما ستقول.

www.rewity.com
hinda70

الفصل الثاني

«هذا غير صحيح، إنني أحلم.» حدثت أوديتا نفسها بذلك عندما ترك القطار كاليه، محاولة أن تقنع نفسها أنها في فرنسا حقاً.

كان الأمر بعيداً عن التصديق إلى حد كانت واثقة من أنها تعيش في حلم من أحلام اليقظة التي تتملكها غالباً، وأن هذا الحلم الآن قد استمر أكثر من العادة.

عندما كانت قالت لأبيها انها ذاهبة إلى منزل اللورد لتوديع بينيلوب التي كانت ستسافر إلى باريس، لم يجب أبوها.

كان آرثر تشارلوود عاكفاً حالياً، على تاليف كتاب كان يشغله إلى حد لم يكن معه ليعي ما كان يدور حوله في العالم. ومع أنه كان قد أنجز حتى الآن ثلاثة أجزاء الكتاب، فهو لم يكن قد أنهى نصفه.

كان هذا الكتاب، ككتابه الأخير الذي يتحدث عن تسرب الفكر الهندوسي إلى الحضارة، لا بد أن يحظى بإطراء الأكاديميين، ولكنه لن يثير اهتماماً كبيراً عند عامة الشعب.

ومنذ وفاة زوجته، أصبح آرثر أكثر استغراقاً في عمله، ولولا أن أوديتا وحنه مدبرة المنزل كانتا تذكرانه باستمرار بمواعيد الطعام، لما تذكر انه بحاجة إلى الغذاء.

سألته أوديتا: «هل سمعت ما قلته لك، يا أبي؟ إن بينيلوب ووالديها مسافران إلى باريس.»

www.rewayti.net

فرفع والدها عينيه عن الكتاب الذي كان يقرأه أثناء تناوله طعام الإفطار، وقال لها: «ماذا قلت؟ باريس؟ إنها مدينة هامة. إنني أتذكر...»

وكان على وشك أن يتحدث عن ذكرياته الطويلة في باريس عندما كان شاباً، حين قاطعته أوديتا: «لقد طلب رئيس الوزراء من اللورد والمر السفر إلى باريس حيث سيكون هناك مؤتمر، وسيمكثون جميعاً في السفارة الإنكليزية.»

والآن، أخذ يهتم أبوها بالموضوع حقاً، فهتف: «السفارة؟ لقد كان الدوق أوف ويلنغتون قد اشترى المبنى من الأميرة باولينا بورغيز. وأنا أذكر حين تناولت العشاء هناك، منذ سنوات كثيرة، أنها كانت مبنى في غاية الأهمية والجمال. وأنا متفهم لرغبة ويلنغتون في جعله من أملاك انكلترا.» كان من الصعب حمل والدها على الإهتمام بالحاضر بدلاً من الماضي.

كانت تريد من يشاركها اهتمامها بسفر بينيلوب إلى باريس رغم أن الفتاة نفسها كانت تزداد اكتئاباً يوماً بعد يوم لقرب سفرها هذا. وكانت أوديتا تتفهم كراهيتها لترك سيمون بعد أن رأتهما معاً.

فقد كان الشك ساورها بما قالته بينيلوب عن حب سيمون لها، ولكنها الآن أدركت أن صديقتها لم تنطق بسوى الحقيقة.

فقد كان سيمون يحب بينيلوب كما كانت هي تحبه.

ومع أنهما أخذا يتحدثان وقتاً طويلاً في آخر الغابة فإن كليهما لم يصل إلى نتيجة بالنسبة للكيفية التي يتمكنان فيها من إخبار والدها اللورد بالأمر.

وفي نفس الوقت، كان على سيمون وأوديتا أن يقنعا بينيلوب بأن الأمر الوحيد الذي بإمكانها عمله، هو السفر مع أبيها إلى فرنسا.

لقد قالت أوديتا لها بعد كثير من الحديث: «إذا أنت قررت رفض السفر إلى فرنسا، فإن عليك أن تقدمي سبباً مقنعاً لذلك، ذلك أن أباك إذا ساوره الشك في أن بقاءك هنا هو فقط لكي ترى سيمون، فستجعلينه مصمماً على منعك من هذا.»

وأخيراً، قبلت بينيلوب بفكرة السفر إلى باريس، ولكنها قالت لسيمون يائسة: «سأبقى أعدّ كل ساعة وكل دقيقة وكل ثانية، إلى أن أعود فأراك.»

فأجاب: «وأنا أيضاً سأفعل نفس الشيء.»

وعندما تلاقت نظراتهما، لم تكن أوديتا بحاجة إلى الكلمات لتعرف منها إلى أيّ حدّ كانا يكرهان فكرة فراقهما هذه.

وعندما عادت الفتاتان من خلال الغابة، قالت بينيلوب: «والآن، بعد أن رأيت سيمون، أصبحت تعرفين... شعوري.»

فقالت أوديتا بصوت ناعم: «إنني متفهمة لذلك. ولكنني، حالياً، لا أستطيع التفكير في ما عليك أن تقومي به تجاه ذلك.»

فقالت بينيلوب متوسلة: «عليك أن تتمني يا أوديتا، ان نعود ونجتمع أنا وسيمون.»

فابتسمت أوديتا قائلة: «اتمنى ذلك.»

فأجابت بينيلوب: «لقد فكرت كثيراً ولكن حتى الآن، الحل الوحيد الذي وصلنا إليه، أنا وسيمون، هو أن نهرب معاً.»

www.rewayti.net

«إني واثقة من أن هذا سيجعل أباك في غاية الغضب.»

فقالت بينيلوب: «إنه سيغضب جداً، بطبيعة الحال، ولكنه سيغضب أيضاً إذا أنا طلبت الإذن منه للزواج من سيمون. على كل حال، إذا نحن هربنا معاً، فستكون هناك مشكلة السكن بالنسبة إلينا، وكذلك المال.»

فقالت أوديتا حيث انها كانت تعلم أن سيمون هو الأصغر بين إخوته: «لا أظن سيمون يملك ما يكفي من المال.»

«إن لديه النفقة التي يمنحه إياها أبوه، وكذلك أنا لديّ نفس الشيء. ولكنني سأكون سعيدة ولو عشت معه في كهف أو كوخ في غابة.»

كانت أوديتا تعلم أن صديقتها تقول الحقيقة، ولكن هذا لا يسهّل من الأمور على كل حال.

وعندما افترقتا، قالت بينيلوب: «تعالي ودّعيني غداً. وبما أنه لن تسنح لي الفرصة لرؤية سيمون مرة أخرى، فسأعطيك رسالة إليه.»

وفي اليوم التالي، أخذ الحصان سنوبال، كالعادة، وقتاً طويلاً للوصول إلى المنزل.

وكانت أوديتا تعلم أن آل والمر سيتناولون غداء مبكراً، ومن ثم يستقلون قطار بعد الظهر إلى لندن، حيث كانوا سيمضون ليلة يسافرون بعدها في صباح اليوم التالي من محطة فيكتوريا.

ولما كان أبوها يتناول إفطاره، في العادة، مبكراً، وذلك لكي يستطيع إنجاز كتابه قبل أن يعيقه أيّ حادث يتعلق بشؤون الأسرة، وصلت أوديتا إلى منزل آل والمر قبل الساعة التاسعة.

صعدت السلالم متوقعة أن تجد بينيلوب في غرفتها.

وكانت هناك، ولكن اللايدي والمر كانت هناك هي أيضاً وقد بدت بالغة الجاذبية في قميص نومها المزيّن بالدانتيل.

وما أن دخلت أوديتا الغرفة دون أن تقرع بابها، كان واضحاً أن ثمة مشكلة أمامها، وسمعت اللايدي تقول باستنكار تام: «إذا كنت تظنين أنك ستشاركينني الخادمة إيميلين، فأنت مخطئة تماماً. فهي ستكون مشغولة جداً معي بالإهتمام بثيابي، وخصوصاً بكل تلك الأثواب الجديدة التي سأشتريها.»

فسألتها بينيلوب: «ومن سآخذ معي، إذن.»

وكانت اللايدي والمر على وشك أن تلقي إليها بجواب حاد، عندما أدارت رأسها ورأت أوديتا واقفة عند العتبة.

فقالت: «ها أنت ذي جئت مرة أخرى؟ ربما بإمكانك أن تعطينا فكرة عمن ينبغي أن تأخذ بينيلوب معها إلى باريس لتخدمها.»

فسألتها أوديتا: «ولكن ماذا حدث للخادمة مارتا؟»

وكانت مارتا هي خادمة بينيلوب الخاصة منذ ان استغنى اللورد والمر عن المربية لابنته.

وكانت مارتا واحدة من خادمات البيت، وحيث أن والدة بينيلوب كانت تعرف حبها لابنتها، جعلت من مارتا خادمة خاصة لها للإشراف على شؤونها.

ومنذ ذلك الحين وهي تقوم بذلك بكل عناية وحنان.

وأجابت بينيلوب على سؤال أوديتا قبل أن تجيب زوجة أبيها: «لقد سقطت مارتا عن السلالم الليلة الماضية. وقال الطبيب أن لديها كسر في ساقها ولن يمكنها السير قبل ثلاثة أسابيع على الأقل.»

www.rewayti.net

فقالت اللايدي والمر بجفاء: «وهكذا ترين ما هي مشكلتنا. لقد قلت لها ان تأخذ معها إحدى خادمات المنزل.»

فأجابت بينيلوب: «إنك تعلمين مبلغ جهلهن بحزم الأمتعة. وكانت مارتا دوماً تقول إنهن يضغطن الملابس بشكل كريه يتلف منظرها، ولهذا كانت لا تسمح لهن بلمس أيّ من أشيائي.»

وكانت أوديتا تعلم أن هذا صحيح.

كانت خادمات المنزل من فتيات القرية، جميعاً. ومع أنهن كن راغبات في أن يتعلمن خدمة بينيلوب، إلا أن مارتا كانت لا تسمح لهن بذلك، حتى ولا غسل أو كوي منديل يدها.

وأخذت أوديتا تعمل عقلها في البحث عن بديلة لمارتا، فقد كانت تعرف كل خادمة في هذا المنزل، ولكنها كانت تدرك أنهن جميعاً لا يصلحن إلا للقيام بالعمل الذي تزاوله كل منهن حالياً. وبهذا سكتت لا تنطق بكلمة.

وفجأة، هتفت بينيلوب: «لشدّ ما نحن غبيات فإذا كان عليّ أن أذهب إلى باريس، يجب على أوديتا أن تأتي معي، إذن.»

ليس فقط أوديتا، بل زوجة أبيها حدقت فيها أيضاً ذاهلة، بينما كانت هي تتابع قائلة: «إن أوديتا ماهرة جداً في الخياطة، وهي تصنع ملابسها بنفسها. سيكون جميلاً جداً لو جاءت معنا، وسنقوم بأعمال كثيرة أنا وهي، عندما تكونين أنت مع أصدقائك.»

وبينما كانت أوديتا تنظر إلى بينيلوب، وقد أذهلتها هذه الفكرة، كانت اللايدي والمر تحاول أن تستوعب ما قالته ابنة زوجها، وما إذا كان في ذلك فائدة لها هي شخصياً.

ثم، أخذت تقول ببطء وكأنها تزن كلماتها: «أظن... أن... هذا... ممكن.»

فقالت بينيلوب بسرعة: «إنه ممكن طبعاً. فإذا كنت سأشتري ملابس كما طلب مني أبي، فستأتي معي أوديتا لقياسها عليّ، فأنا واثقة، يا زوجة أبي، من أنك ستكونين مشغولة جداً إلى حد يمنعك من ذلك.»

فقال اللايدي والمر: «حسناً جداً، ما دام ليس هناك طريقة أخرى. سنأخذ معنا أوديتا، ولكنني أريد أن أوضح أمراً.»

كانت تتكلم وهي تنظر إلى أدويتا، وقد شملت بنظراتها مظهر الفتاة. وساور أوديتا شعور بأن المرأة لم يسرّها ما رأت فيها.

قالت: «إذا نحن أخذناك معنا، فستكونين بصفة خادمة فقط... مرافقة لبينيلوب ولا شيء غير ذلك. إنك لن تأكلي معنا إلا إذا كنا وحدنا، كما انك لن ترافقينا إلى أيّ مكان نذهب إليه.»

فقالت أوديتا بسرعة: «إنني متفهمة لذلك طبعاً يا سيدتي. وإنها لفرصة رائعة، في الحقيقة، أن آتي معكم إلى باريس. إنني سأحاول أن أكون ذات نفع لكم، ولن أقف في طريقكم.»

فقالت اللايدي والمر بحدة: «إذا فعلت ذلك، فسأعيدك إلى هنا.»

ونظرت إلى ابنة زوجها وقد بدت في عينيها نظرة رأتها أوديتا تعبر عن الكراهية. ثم قالت: «أما بالنسبة إليك، يا بينيلوب، فاعتبري نفسك فتاة محظوظة تماماً. ليس فقط لأنك، أنا ووالدك، سنأخذك معنا إلى باريس، ولكن لأنه

www.rewayti.net

وعدك بشراء ثوبين لك من وورث، وهكذا ستكونين واحدة من النسوة القلائل اللاتي يرتدين ملابس وورث.»

وأدركت أوديتا من طريقة كلام المرأة، أنها تشعر بالضيق لأن ابنة زوجها ستشتري ملابس من وورث. فقد كانت تريد أن يكون هذا الإمتياز لها وحدها.

ولم تنتظر اللايدي جواب بينيلوب، بل استدارت تغادر الغرفة، وهي تقول لأوديتا: «ستمر عليك العربة التي ستنقل إيميلين والأمتعة إلى المحطة، فمن الأفضل أن تذهبي لتجهيز نفسك وإلا ستتخلفين عنا.»

وعندما أغلقت الباب خلفها، شهقت أوديتا قائلة: «هل قالت حقاً ان بإمكاني الذهاب معكم إلى باريس؟»

فأجابت بينيلوب: «نعم، وهذا أفضل بالنسبة إليّ، إذ على الأقل سأجد من أتحدث معه عن سيمون.» وفي غمرة اندفاع أوديتا المفاجيء، عائدة إلى بيتها حيث ساعدتها حنه في حزم أمتعتها، ثم في إخبار والدها بسفرها المفاجيء هذا إلى باريس، في غمرة هذا كله، لم تجد أوديتا وقتاً للتفكير.

كان كل شيء يبدو غير حقيقي ما عدا البهجة العارمة لدى التفكير في أنها ستمضي ليلة في لندن، ثم تستقل القطار إلى دوفن، ثم تعبر القنال في أحد تلك البواخر الجديدة.

والآن، ها هي ذي قد أصبحت في فرنسا، ولأنهما كانتا وحدهما في عربة القطار، كانت بينيلوب تتحدث عن سيمون دون انقطاع. ولكن أوديتا كانت تنظر من النافذة إلى الحقول المترامية نحو الأفق من دون أسيجة تحدّها، وإلى

الثيران البيضاء والطرق المحفوفة بالأشجار العالية من جانبيها، وقد خلبت لبها كل هذه المناظر إلى حد عجزت الكلمات عن وصفه.

كانت بينيلوب تقول: «آه، يا أوديتا، لشدّ ما أحبه. متى تظنين سألقاه مرة أخرى؟»

وكان هذا سؤالاً أسبق وألقته عليها بينيلوب مئات المرات، ولكن لم يكن ثمة جواب له، لأن اللورد والمر نفسه لم يكن لديه فكرة عن الوقت المطلوب منه أن يمضيه في فرنسا.

وتمنت أوديتا، بينها وبين نفسها، أن لا ينتهي عمل اللورد والمر في باريس بسرعة، رغم ما في هذا التمني من عدم إخلاص لبينيلوب.

فقد كان في باريس الكثير مما عليها أن تتعلمه وتراه.

وصلوا إلى باريس في الساعة الثامنة مساء، وكان في انتظارهم عربتان أنيقتان لنقلهم إلى السفارة.

وكان من الصعب العثور على فرصة للتحدث إلى اللورد والمر، ولكن أوديتا تدبرت ذلك الأمر عندما انتقلت هي وبينيلوب من العربة التي كانتا تحتلانها وذلك للإنضمام إلى والدي بينيلوب لتناول العشاء، وسألته أوديتا ضارعة: «هل ستخبرني عن السفير، يا سيدي؟ عندما زار أبي السفارة، كان السفير، في ذلك الوقت، هو الماركيز أوف نورمانبي، وهكذا هو لم يقابل قط اللورد ليونز.»

فابتسم اللورد والمر، وقال: «لا بد أن أباك كان هناك منذ وقت طويل جداً.»

فأومأت أوديتا، قائلة: «أظنه كان شاباً صغير السن. هل السفير الحالي موجود هناك منذ مدة طويلة؟»

www.rewayti.net

فأجاب اللورد والمر: «كلا، في الواقع فقد عينّ هذا منذ سنتين فقط. وقبل ذلك كان في واشنطن.»

فسألته: «وهل هو ذكي جداً؟»

«أظن ذلك. ولكنه، في الواقع، رجل متحفظ، وأولئك الذين يريدون الحط من شأنه يقولون إنه يبدو كرجل ريفي.»

وجعلت هذه الملحوظة أوديتا تفكر في سيمون وأن من المؤسف أن لا يكون أبوه سفيراً.

وعندما انقضى النهار، كانت قد علمت أن اللورد ليونز هو اعزب، وأن علاقته بكلبه توبي هي أقوى من علاقته بأي شخص آخر.

ولكن اللورد والمر لم يخبرها بأكثر من هذا. وعندما وصلوا أخيراً إلى السفارة، وأقبل اللورد ليونز للترحيب بهم، رأته رجلاً بالغ الضخامة والحياء، يميل إلى الصمت وأيضاً، كما علمت فيما بعد، بالغ الحذر.

قابلوا السيد جورج شيفيلد مدير المنزل، وكان رجلاً خدوماً للغاية وكذلك كان السيد إدوارد ماليت سكرتير السفير.

كانوا جميعاً متعبين للغاية، حتى أوديتا نفسها كانت مسرورة وهي تبدل ثيابها وتأوي إلى فراشها.

كانت غرفتها قريبة من غرفة بينيلوب، وقبل أن تتبادلا تحية المساء، قالت أوديتا: «لن أستطيع ابداً أن أوافيك حقك من الشكر، يا عزيزتي بينيلوب لإحضارك لي إلى هنا. لقد اعتدت أحياناً أن أحلم بأنه ينبغي أن أزور باريس، وها قد حدث هذا. فشكراً جزيلاً لك.»

فقال بينيلوب بصوت خافت: «كنت أنا أيضاً سأكون سعيدة مثلك لو كنت مع سيمون.»

«أظن سيمون يريدك أن تستمتعي بوقتك هنا؟»

فسألتها بينيلوب بخوف: «ألا تظنين أنه سينساني؟»

فقالت أوديتا بسرعة: «إنه لن ينساك طبعاً. فحبه القوي لك لن يسمح له بنسيانك لغيابك عنه أسابيع قليلة.»

فقالت بينيلوب: «كلا، إنه طبعاً لن ينساني. وأنا ساكتب إليه رسالة كل يوم، وأنت ستأخذين رسائلي هذه إلى مكتب البريد، وبهذا لن تراها زوجة أبي ومن ثم تبدأ بإلقاء الأسئلة.»

فقالت أوديتا: «سأفعل هذا طبعاً. تصبحين على خير يا عزيزتي.»

وسرعان ما سيطر عليها النوم حالما وضعت رأسها على الوسادة. ولكنها استيقظت في الصباح الباكر، ووقفت عند النافذة تنظر إلى الحديقة خلف المنزل.

لم تكن تتوقع أن ترى في أية مدينة، مثل هذه الحديقة بأزهارها وأشجارها العالية.. ولكن أوديتا شعرت بأن كل شيء في باريس هو غير متوقع، وأيضاً كانت واثقة تماماً من أنه رائع الجمال.

كانت قد ارتدت ثيابها قبل أن تستيقظ بينيلوب بمدة طويلة. وبعد أن تناولتا طعام الإفطار مع اللورد والمر، لأن اللايدي والمر لم تخرج من غرفة نومها إلا بعد انقضاء مدة طويلة من النهار، سألت أوديتا بشوق: «ماذا نفعل الآن؟ أتظنين أن بإمكاننا أن نتفرج على بعض أنحاء باريس؟»

فأجابت بينيلوب: «أظن أن علينا أن نسأل زوجة أبي.»

فقالت أوديتا: «نعم، بالطبع، إسأليها أنت، إذ أرى من الأفضل أن أبقى أنا بعيدة عن بصرها وأخفف من فضولي

www.rewayti.net

قدر الامكان.» ولم تجادلها بينيلوب في هذا وهي التي تعلم أن هذا عمل حكيم.

صعدت إلى الطابق الأعلى، وعندما عادت، قالت لها: «إن علينا أن ننتظر إلى أن تجهز زوجة أبي نفسها، ثم نخرج جميعاً.»

فلمعت عينا أوديتا.

كانت واثقة تماماً مما جرى من أحاديث أثناء الرحلة أن أول مكان تنوي اللايدي والمر زيارته قبل أيّ شيء آخر، هو الكائن في شارع دي لابيه رقم ٧. ولم تكن مخطئة، وبعد عدة ساعات، عندما كانت بينيلوب تخط رسالة إلى سيمون، بينما كانت أوديتا تراقب الممر خشيّة أن تدخل زوجة الأب فجأة، فتبدأ بسؤالها عمن تكتب إليه هذه الرسالة، جاءت اللايدي والمر إلى الصالون.

كانت مرتدية أحد أجمل أثوابها اللندنية وأكثرها أناقة وقد أسرفت في زينتها أكثر من المعتاد. ولكن ما أن ابتعدن بالعربة عن مبنى السفارة، حتى انتبهت أوديتا إلى أن اللايدي يتملكها الإنفعال.

قالت اللايدي لأوديتا: «أخبريني بالمزيد عن أسرة وورث. هل ما زال والده، الذي أخبرتني بسوء معاملته لأسرته، حياً؟»

فأجابت أوديتا: «أعتقد ذلك. ولكنهم في مدينة بورن يقولون ان السيد تشارلس وورث لم يصفح عنه مطلقاً لما كان قد سبب لأسرته من الآلام، ولهذا، أظن من الخطأ الإتيان على سيرته أمام ابنه.»

فقالت اللايدي والمر: «نعم، بالطبع. لم أكن أفكر في أن أفعل هذا.»

كانت المسافة التي قطعنها للوصول إلى شارع دي لابيه، قصيرة. وعندما وقفت الجياد أمام المنزل رقم ٧، رأين أن هناك عدداً كبيراً من العربات الأنيقة واقفة في الشارع.

وابتدأت أوديتا تتفهم مشاعر الخوف لدى اللايدي والمر من أن لا يكون لدى تشارلس وورث وقت أو رغبة في ضمها إلى قائمته التي تحتوي أسماء زبوناته الارستقراطيات اللامعات، وأميرات الأسر المالكة.

قادهن إلى الطابق الأعلى خادمة بالغة الأناقة حيث أشارت لهن إلى غرفة جلوس فسيحة كان فيها عدد من النساء الأنيقات اللاتي أخذن يتفحصن القادمات الجدد بنظرات رأتها أوديتا تنبىء عن شيء من السخرية التي تكاد تقرب من الإهانة.

وأقبل خادم يسأل اللايدي والمر عن اسمها، فأجابت هذه بفرنسية ممتازة: «أرجوك أن تخبر السيد وورث بأن اللايدي والمر هنا تريد رؤيته بصفتها زبونة، وأيضاً لتسلمه تحيات المحبة من أصدقائه والمعجبين به في بورن.»

فأخذ الخادم يكرر مقالتها هذه لكي يتأكد من أنه لم ينس منها شيئاً، ثم أراحت اللايدي والمر نفسها، بعد ذلك على أحد المقاعد المطلية بالذهب والتي كانت مصفوفة مع الجدران، ناشرة حولها تنورتها الواسعة.

ورأت أوديتا لأول مرة، وهي تنظر إلى السيدات

www.rewayti.net

الأخريات، الطراز الجديد للثياب والذي صممه تشارلس وورث للباريسيات.

لم تكن بين السيدات في تلك الغرفة، باستثناء اللايدي والمر وبينيلوب، من ترتدي التنورة الواسعة.

لقد ذهب القفص الذي بقي زمناً طويلاً، ضرورياً لإظهار انتفاخ التنورة. وبدلاً منه، أزيح انتفاخ التنورة إلى الخلف، ونزل خط الخصر إلى أول الوركين.

وأخذت أوديتا تحملق بشكل غير عادي، في المرأة قبالتها إلى أن تلقت منها نظرة باردة حافلة بالإزدراء جعلتها تشيح بوجهها بسرعة.

انتظرن حوالي الثلث ساعة، قبل أن يفتح الباب ويقف الخادم منادياً: «لايدي والمر.»

فأجفلت أوديتا من الدهشة، ولكن اللايدي والمر قفزت واقفة بلهفة.

وحيث أنها لم تطلب من الفتاتين البقاء في مكانهما فقد لحقتا بها إلى الغرفة الثانية.

لم تكن أوديتا متأكدة تماماً من الشكل الذي كانت تتخيل السيد وورث يبدو به، ولكنه لم يبد مطلقاً بالشكل الذي كانت تظنه به. كان متكئاً على أريكة ويضع بين شفتيه سيكاراً، وكان مرتدياً سترة مسترسلة موشاة بالفراء عند العنق. ووشاحاً حريرياً بدلاً من ربطة العنق، وقلنسوة من القطيفة علمت، فيما بعد، بأنه لا يخلعها مطلقاً.

كان يبدو أشبه بفنان، وكان في الواقع، يظهر نفسه أشبه بالرسام المعروف رامبرانت.

وتدفق الكلام من بين شفتي اللايدي والمر، نظراً

لانفعالها كما رأت أوديتا، فأخذت تبالغ في مدحه وإخباره بكلمات كانت تتراكم فوق بعضها البعض، مبلغ حب أهالي مدينة بورن له وإعجابهم به.

وأخيراً، تمكن السيد وورث من أن يسألها حين وجد ثغرة بين كلامها: «أين تسكنين يا سيدتي اللايدي؟»

«إن منزل زوجي هو في موطنه إيدنهام. ونحن لدينا أراضي واسعة، وربما تتذكرها عندما كنت غلاماً.»

فأجاب السيد وورث بعد لحظة: «نعم. أنا أتذكرها وأظن على كل حال، أنك لم تأت إلى هنا بغرض التحدث عن الأيام القديمة، وإنما لسبب آخر.»

فأجابت بصوت يطفح غبطة: «طبعاً. إنني أريد ملابس، يا سيد وورث. عشرات من الأثواب الحديثة الطراز والتي تجعلني لا أشعر بالخزي عندما أقابل سيدات باريس، وتمنحني امتياز عرض أزيائك الجديدة في لندن عند عودتي إلى هناك.»

«حسناً، سنرى ما يمكننا أن نفعله لأجلك. أين تسكنين؟»

«في السفارة الإنكليزية. لقد جاء زوجي مندوباً من رئيس الوزراء، وذلك لحضور مؤتمر هام.»

وتساءلت أوديتا وهي تستمع إلى ذلك الحديث، عما إذا كان السيد وورث قد تأثر بكلامها هذا وهو الذي تتهافت عليه ملكات أوروبا، متوسلات إليه كي يصمم لهن ملابسهن.

ولكن عينيه كانتا تتفحصان اللايدي والمر بنفس الطريقة التي يتفحص بها رجل، النقاط الجيدة في حصان ما.

كانت اللايدي والمر تملك جمالاً انكليزياً رائعاً. وخطر

www.rewayti.net

ببال أوديتا أنه قد يكون يفكر في أن أثوابه ستجعل منها زهرة إنكليزية لا تشبه بحال العصافير التي يمثلها الجمال الفرنسي.

فدق بأصابعه، فظهر مساعد له يحمل قماشاً من الساتان والبروكار الوردي اللون، والأصفر، والأخضر. وكذلك تول فضي بدا لعيني أوديتا متألقاً كالنجوم. نشره على يديه ثم قال: «لقد استعملت هذا القماش في ثوب للأميرة فون مترنيخ، وآخر موشى بالذهب لأمبراطورة النمسا اليزابيت.»

فقال اللايدي والمر: «إنه رائع الجمال تماماً.»

فقال وورث: «إنه يناسبك. ولكن هناك أنواعاً كثيرة من قماش التول، وعلينا أن نقرر أي نوع منها يعطي تأثيراً أكبر.»

وجيء بالتول بعض منبسط، والبعض الآخر ذو ثنيات، تول منتفخ وآخر متكرش، وتول حريري. وشعرت أوديتا، أن كل هذا سيسبغ على لابسته جمالاً غير طبيعي.

وفقط، بعد أن أوصت اللايدي والمر على دزينتين من الأثواب، حتى دون أن تسأل عن أثمانها، أدار وورث رأسه نحو أوديتا وبينيلوب.

وكان قد سبق ووعد اللايدي والمر بأنها إذا عادت إليه بعد ظهر هذا اليوم، فسينهي لها ثوباً بإمكانها أن ترتديه في هذا المساء.

فهتفت تقول بلهجة مسرحية: «وهل بإمكاني أن أبدو أمام الناس قبل أن تلبسني ثوباً من صنعك يا سيدي؟»

وبدت على شفتي وورث ابتسامة تعني أنه يوافقها على

ما تقول. ثم سأل: «وماذا عن هاتين الشابتين الصغيرتين؟»

فقالت اللايدي والمر ببرود: «إن ابنة زوجي تطلب ثوبين. تعالي يا بينيلوب وقولي مرحباً لأكبر مصمم ازياء من الممكن أن تقابليه.»

فنهضت بينيلوب مطيعة، وحيّت السيد وورث، فتنازل هو بإيماءة من رأسه، ثم نظر إلى أوديتا.

«وماذا عن الشابة الأخرى؟»

فأجابت اللايدي والمر بعدم اكتراث: «إنها مرافقة فقط لابنة زوجي. وهي في باريس بديلة خادمة لها، وعدا ذلك، لا شأن لها.»

ولم يجب تشارلس وورث، وإنما نظر إلى أوديتا لحظة طويلة وكأنه، كما بدا لأوديتا، يجب أن يصمم لها ثوباً.

ولكنها ما لبثت أن حدثت نفسها بأنها عادت إلى تصوراتها المعتادة.

فقد طالما سمعت أن وورث يهتم بتزويد الطبقة العليا من السيدات بأفضل الأقمشة.

وهن في طريق العودة إلى السفارة مع اللايدي والمر التي كانت تتحدث بكل إثارة، عن الأثواب التي أوصت عليها، في ذلك الحين فقط، إنتاب أوديتا شعور خفيف بالغيرة.

لقد فكرت، بينها وبين نفسها، في أنها لو كان بإمكانها أن تحصل على ثوب عصري واحد فقط، إذن لخف شعورها بمظهرها الزري هذا. ولكنها عادت فرأت نفسها في منتهى

www.rewayti.net

الجحود للحظ الذي جاء بها إلى باريس في حين لم تكن تحلم بذلك وعلى كل حال، ماذا يهم مظهرها؟

وعندما وصلن إلى السفارة، صعدن السلالم، وكانت إيميلين تقف أمام باب غرفة سيدتها.

وهتفت اللايدي: «آه يا إيميلين، إيميلين، إنك لم تري في حياتك قط مثل هذا الذي رأيناه مما يفتن القلوب من الأثواب التي أوصيت عليها السيد وورث. سنكون بحاجة إلى عشرة صناديق إضافية حين نعود إلى لندن.»

ولم يظهر السرور البالغ على إيميلين، ولكنها لم تجد فرصة تتكلم فيها حيث أن سيدتها تابعت تقول: «سألقي بعيداً بكل ما أملكه من ثياب، ثم أبدأ من جديد. إنني أشعر وكأنني ولدت من جديد.»

وشعرت أوديتا بالرغبة في الضحك من الطريقة التي كانت تتكلم فيها. ولكنها خافت أن تبدو سيئة الأدب. فأسرعت تلحق بينيلوب التي كانت توجهت إلى غرفتها.

وعندما انضمت إليها أوديتا، قالت ساخرة: «هل كل هذه الضجة لأجل الثياب، إنني لا أهتم بما ألبس إذا كنت أسير مع سيمون في الغابة، أو أساعده في العناية بكلابه.»

فقالت أوديتا بحزم: «ولكنه يريدك أن تبدي جميلة بجانبه. إن كل رجل يريد أن يفخر بالمرأة التي يحب.»

فأجفلت بينيلوب، ثم قالت: «إنني لم أفكر في هذا الأمر.»

فتابعت أوديتا تقول: «أظنك محظوظة جداً. وأنا واثقة من أنك عندما تعودين إلى الوطن، وترين سيمون ثيابك الجديدة، سيزيد إعجابه بك عما هو عليه الآن. إنك لا تعجبيني أبداً في التنانير المنتفخة.»

فقفزت بينيلوب وتوجهت إلى المرآة الكبيرة الملصقة بالخزانة، حيث وقفت تحدق في صورتها، ثم قالت: «إنني أبدو مشوشة المظهر، وأنا دوماً هكذا.»

فقالت أوديتا تطمئنها: «ستبدين جميلة جداً في ثيابك الجديدة، ذلك لأنها ستظهرك أكثر طولاً ونحافة.»

فتألقت عينا بينيلوب، وقالت: «إنني على استعداد لتحمل هذا الطراز الجديد من الثياب إذا كان ذلك سيجعلني أكثر جمالاً في نظر سيمون.»

«هذا كلام عقلاني. ولكن حاولي أن تقنعي أباك بأن يسمح لك بشراء المزيد من الثياب لتدوم عندك مدة أطول.»

فنظرت بينيلوب إليها باستغراب. ولكنها ما لبثت أن أدركت أن أوديتا تعني أنها إذا هي هربت مع سيمون الفقير، فلن يكون في وسعه شراء مثل هذه الثياب لها.

فهتفت: «معك حق. سأقنع أبي لكي يشتري لي أثواباً كثيرة. واظنني لم أكن مسرورة منه عندما قال إنه سيشتري لي ثوبين فقط.»

فقالت أوديتا وهي تنظر إلى الساعة: «سيكون الغداء جاهزاً بعد وقت قصير جداً. وقد يكون أبوك جالساً في الطابق الأسفل وحده، في انتظار ذلك. لماذا لا تذهبين وتتحدثين إليه الآن؟»

فتقدمت بينيلوب نحوها تقبلها، قائلة: «كم أنت عاقلة، يا أوديتا. كم أحب أن أكون معك.»

ثم اندفعت خارجة من الغرفة، وسمعت أوديتا خطواتها تتجه نحو السلم.

تنهدت وهي تتجه إلى غرفتها لكي تصلح من مظهرها.

www.rewayti.net

وهي تتساءل عما إذا كان باستطاعتها، هي وحنة، أن تحاولا خياطة نسخة عن الثياب الجميلة التي رأتها في متجر وورث، وأقمشتها المدهشة.

كانت هناك خطوط لتصميماته في كل أنحاء الغرف، وكانت من الجمال بحيث كانت واثقة من أنهما، هي وحنة، لن تستطيعا صنع شبيه لها مهما حاولتا.

وأخيراً، قالت تحدث نفسها، إن الملابس لا تهم. وحيث أنني في باريس، فيجب أن أحاول التفرج على كل ما أستطيعه من معالمها.

وفي نفس الوقت، حين وقع بصرها على صورتها في المرآة، فكرت في أن عدم تناولها الطعام مع السفير وضيوفه، هو شيء حسن، إذ أنها كانت دون شك، تبدو شبيهة بساندريلا بملابسها المزرية هذه.

قالت إيميلين بحدة: «إن كل ما يمكنني قوله، هو أن هذا الطراز الجديد للملابس يكلفني مبلغاً كبيراً من المال.»

وكانت أثناء قولها هذا، تسحب من الخزانة عدداً من ملابس اللايدي والمر وتلقي بها إلى الأرض، ثم تضع مكانها الأثواب التي وصلت من شارع دو لابيه.

وفهمت أوديتا التي كانت جالسة تتحدث إليها، سبب ضيقها هذا.

فقد كانت تعلم منذ سنوات، أن إحدى امتيازات خادمة اللايدي الخاصة، هو أن بإمكانها أن تبيع الأثواب التي تلقي بها سيدتها بعيداً.

وكانت قد قرأت في الصحف أن الأمبراطورة تلقي بثيابها مرتين في السنة إلى خادمتها الخاصة التي كانت

تبيعها إلى الناس في أميركا وأيضاً إلى أمكنة في باريس تؤجر فيها هذه الثياب.

وكانت أوديتا، حين علمت بهذا الأمر، قد سألت أباها عنه. فأجابها بأن الضباط والخدم في القصور الملكية، منذ مئات السنين حتى الآن، لهم الحق في أن يأخذوا ملابس الملك والأمراء وزوجاتهم عندما يغيرها هؤلاء.

قال إن هناك إشارات مختلفة في كتبه إلى أوقات كانت تحدث فيها مشكلات كبرى عندما كان ينكر على أولئك الموظفين ما كانوا يعتبرونه من امتيازاتهم.

وبعد ذلك، علمت أوديتا أن في منازل كبار الملاكين وحكام المقاطعات على جانبي القنال، حتى في منازل الطبقة البورجوازية الغنية وحيث كان هناك خدم، كان هؤلاء يتوقعون أن ينالوا ما يتخلى عنه أسيادهم من ملابس.

وإذ وجد أبوها أنها مهتمة بهذا الموضوع، أخذ يبحث في مكتبته إلى أن وجد أخيراً خبراً منشوراً منذ أكثر من عشرين عاماً كان أرسله مخبر صحفي من فرنسا قال فيه:

(لقد وضعت الأمبراطورة قاعدة وهي أن تمنح كل ثوب تلبسه مرة واحدة، إلى خدمها. وهؤلاء يبيعونها لمن يشاؤون حتى فاضت باريس بملابس الأمبراطورة)

وكانت أوديتا قد ضحكت في ذلك الحين على هذا، ولكنها الآن تشعر بالأسى لأجل إيميلين لأنها كانت تعلم بأن هذا الطراز الجديد سيكلفها غالياً لأن الملابس ذات الطراز القديم لم تعد تساوي شيئاً.

قالت لها أوديتا: «سأخبرك بما سأفعله، سأحاول أن

www.rewayti.net

أغيّر طراز بعض هذه الملابس لأجلك ذلك أننا إذا أزحنا الانتفاخ من التنانير إلى الخلف وأنزلنا خط الخصر قليلاً، فسيصبح بإمكانك بيعها، وذلك بسعر معقول، إذا لم يكن بسعر مرتفع، ما دام القماش غالي الثمن.»

وبدت الدهشة على وجه إيميلين، وسألتها: «هل بإمكانك أن تفعلي هذا، يا آنسة؟ إنني لم أجرب الخياطة بنفسي قط من قبل، ولكن لا بد أنك ماهرة في ذلك.»

فأجابت أوديتا باسمة: «شكراً. سأغير طراز الأثواب كلها إذا استطعت. أيّ منها تريدينني أن أبدأ به؟»

فأجابت: «جربي هذا.»

وكان هذا ثوباً جميلاً ذا لون أزرق باهت ومصنوعاً من قماش الساتان وفوقه طبقة من التول بنفس لونه. وقد تدلت من الخصر شرائط طويلة.

كان ثوباً، في الحقيقة، يناسب صغيرات السن وليست إمرأة ناضجة مثل اللايدي والمر، ولكنها كانت تبدو فيه رائعة الجمال رغم أن اللون الأزرق لم يكن يلائم بشرتها كغيره من الألوان.

أمسكت أوديتا بالثوب وأخذت تتفحصه بعين نقادة، ثم قالت: «إن بإمكاني أن أغيّر طراز هذا، إنني واثقة من ذلك.»

فقالت إيميلين: «سأكون شاكرة لك جداً. جربيه على جسمك، يا آنسة. من المؤسف أن ليس بإمكانك أن ترتدي أحد هذه الأثواب الجميلة، وبعد فأين تذهبين ليراها الناس عليك؟»

فأجابت أوديتا: «نعم في الحقيقة، أنا لا أذهب إلى مكان. ولكنني لا أشكو. فأنا سعيدة لكوني هنا، وأرجو أن

أتمكن من رؤية الكثير من معالم باريس قبل عودتي إلى الوطن.»

فقالت إيميلين: «إن هذا أمر سهل، يا آنسة. إني أقترح أن تخرجي مع بينيلوب في نزهة بالعربة، فالإصطبلات مليئة بالجياد والعربات. وليس أمامك إلا أن تطلبي ذلك.»

«سأفعل ذلك. شكراً يا إيميلين.»

«أنا التي سأشكرك لتبرعك بتغيير طراز الثياب هذه لأجلي.»

فقالت أوديتا: «سآخذ هذا الثوب إلى غرفتي، وحيث أن خزانتي فارغة، تقريباً، فلماذا لا تضعين فيها هذه الأثواب التي تريدين تغييرها؟ سيكون بإمكاني، عند ذلك النظر إليها كلما كان عندي وقت فراغ، وأرى ما يمكن أن أصنعه بها.»

«هذا يسرني، يا آنسة، ليس هناك فتيات شابات كثيرات يبدين نحوي مثل هذا اللطف والإنسانية.»

فلم تزد أوديتا على أن ابتسمت، ثم طوت الأثواب على ذراعيها وخرجت بها إلى غرفتها.

كانت تفكر في أن النظر إلى هذه الثياب هو شيء جميل رغم أنها أصبحت قديمة الطراز، وبذلك يمكن أن تضيف رونقاً لصور أحلام اليقظة التي تنتابها عن الاحتفالات والإستقبالات التي تقام في باريس، بينما تجلس هي هنا في السفارة تخيط.

وأثناء اليومين أو الثلاثة التالية، لم تتمكن من رؤية شيء في باريس باستثناء داخل المنزل رقم ٧ في شارع سولابيه.

فقد تمكنت بينيلوب من إقناع أبيها بأن يسمح لها بشراء

www.rewayti.net

ليس ثوبين فقط، وإنما عشرة. ولما كانت اللايدي والمر قد قالت بحزم بأنها، لا هي ولا ابنة زوجها، ستخرجان إلى أيّ مكان إلا إذا كانتا مرتديتين ثياباً مناسبة للطراز الحديث، فقد كان هنالك قياس لثيابهما منذ الصباح وحتى موعد العشاء، ما عدا فرصة لتناول الغداء.

حتى أوديتا شعرت بالتعب لكثرة ما نظرت إلى القماش، بينما كانت متلهفة إلى رؤية نهر السين، والغابات والنافورة الجديدة في ساحة الكونكورد ومبنى نوتردام.

ولكن الأثواب ما لبثت أن أصبحت جاهزة واحداً بعد الآخر، وأصبحت اللايدي والمر تخرج لتناول الغداء والعشاء، بينما أخذت بينيلوب تذهب إلى الحفلات، من عشاء وغيرها، فيما بعد.

ولكن كل ما كانت تقوله، هو: «أريد أن أذهب إلى بيتنا لأكون مع سيمون.»

فتجيبها أوديتا بعطف: «أعلم ذلك. ولكن حاولي أن تجاملي الناس الذين تتعرفين إليهم. إنك لا تعرفين متى يمكن أن يفيدك واحد منهم، فقد يمكن أن يجد أحدهم عملاً لسيمون إذا أنتما هربتما معاً دون مال.»

فنظرت إليها بينيلوب بدهشة، ثم قالت: «طبعاً، هذه فكرة جيدة. لماذا لا نأتي إلى فرنسا حيث يكون من الصعب على أبي أن يعثر علينا؟»

فقالت أوديتا: «إن المرء لا يعرف ما قد تأتي به الأيام، ولهذا يجب أن تكوني رقيقة جداً مع من تجلسين إليهم هذه الليلة، يا بينيلوب، وللناس المسنين عندما تتعرفين إليهم. فلا أحد يعرف أي فائدة تجنى من التعرف إلى الناس.»

كانت أوديتا تحلم، كما يحدث في الحكايات، أن يأتي شخص على غاية من الأهمية، فيكون حامياً لسيمون بشكل ما، ما يجعله على شيء من الأهمية تجعل اللورد والمر يقبل به صهراً.

ومع أنها كانت تعترف، بينها وبين نفسها، أن هذا ما هو إلا تصورات من مخيلتها، فقد أدركت أنها أوحت إلى بينيلوب بأن تكون أكثر رقة وسلاسة مع الآخرين مما اعتادت.

وعندما هبطت بينيلوب السلالم مرتدية ثوباً جديداً قرمزي اللون جعلها، بالنسبة إلى شعرها القاتم وبشرتها البيضاء النقية، جعلها تبدو ليست جميلة فقط، بل أجمل من كل وقت مضى.

تمتمت أوديتا، عند ذاك، تحدث نفسها، يا ليتني أتمكن من حضور ولو حفلة واحدة.

ثم عادت إلى غرفتها وهي تتنهد، لتجد عشاءها ينتظرها على صينية.

ورأت على السرير ثلاثة أثواب كانت إيميلين قد أحضرتها إليها لتغيير طرازها.

www.rewity.com
hinda70
www.rewayti.net

الفصل الثالث

نظرت أوديتا إلى صورتها في المرآة، وهتفت بابتهاج: «ها قد نجحت، لقد نجحت.»

وأخذت تتمايل أمام المرآة في ذلك الثوب الأزرق الذي هو أول ما أعطتها إياه إيميلين لتغيير طرازه.

لقد غيرته حتى أصبح يبدو تماماً وكأنه جاء من محل وورث. كما أنها جعلته يبدو بالتول الذي فوقه، وكأنه ثوب لا مثيل له، كما وضعت في الظهر الشريط الأزرق الذي كان يزينه في طرازه القديم.

ولم يكن لدى أوديتا فكرة عن مبلغ جمال قوامها هي، إلى أن أبرزه تفصيل هذا الثوب. وفكرت في مبلغ سرور إيميلين عندما تراه، بينما عادت تتمايل أمام المرآة وكأنها ترقص.

ولكنها، وهي تفعل ذلك، سمعت أنغاماً موسيقية سرعان ما أدركت أنها آتية من المنزل الذي في جوار السفارة حيث كان اللورد واللايدي والمر وبينيلوب يحضرون حفلة مقنعة.

وكانت بينيلوب قد قالت لها وهي ترتدي أحد أثوابها الجديدة: «كم أتمنى لو كنت معي.»

وكانت أوديتا قد وضعت فوق عينيها قناعاً أسود صغيراً، وهي تقول ببراءة، «وأنا أتمنى ذلك أيضاً. ولكنني سأؤلف قصة عنكما، أنت وسيمون، بأنكما حضرتما الحفلة معاً، وكنتما نجمي الحفلة.»

فقالت بينيلوب: «كم كنت أتمنى لو كان معي هذه الليلة، إنني متأكدة من أنني سأعجبه في ثوبي الجديد هذا.»

فقالت أوديتا: «إنك ستعجبينه طبعاً، ولكن سيكون هناك كثيرون سيعجبون بك، فاستمتعي إذن بوقتك، واستمعي إلى أشياء جميلة مثيرة لكي تحدثي سيمون عنها.»

ولكن بينيلوب لم تشأ أن تشعر بالبهجة، بل قالت بلهجة حزينة: «أريد فقط أن أخبره بأنني أحبه.»

وعندما أصبحت جاهزة، ذهبت أوديتا معها إلى قمة السلم لتنظر إليها وهي تنضم إلى أبيها وزوجته في القاعة.

كانت اللايدي والمر ترتدي ثوباً تنكرياً، ولكنها كانت قالت بمنتهى الحزم ان ليس ثمة وقت لشراء ثوب لبينيلوب.

وكان وورث قد صمم لها ثوب فتاة راعية، ما جعل أوديتا تفكر في أن ليس ثمة من تبدو أجمل منها.

كان الثوب ذا لون وردي فاتح مزين بورود متصلة بحبال فضية.

ولاحظت أن قناع اللايدي والمر لم يكن أكبر من قطعة من شريط مزين بالدانتيل، وكانت فتحتا العينين من الإتساع بحيث تكشفان عن عينيها الزرقاوين.

أما اللورد والمر فقد كان في بذلة سهرة عادية ولكن عندما انضمت إليهما بينيلوب، سألها: «لماذا لا ترتدين ثوباً تنكرياً؟»

فقالت اللايدي بسرعة: «إن منظرها حسن جداً في هذا الثوب، كما أن كثيرين لن يكونوا في أزياء تنكرية.»

فأجاب اللورد: «وأنا أول واحد فيهم. فأنا مثل الأمبراطور، أرى نفسي فوق هذه الأمور.»

www.rewayti.net

فقال السفير الذي كان قد دخل هذه اللحظة إلى القاعة: «إنني أوافقك على هذا. ولكن مما يزيد في البهجة، هو ارتداء عباءة فينيسية فوق ملابس السهرة، ولديّ واحدة لأجلك، يا سيدي اللورد.»

فأجاب اللورد: «هذا من كياستك البالغة.»

فقال السفير: «إن من فوائد حفلة كهذه، أن بمقدورنا أن نعود منها إلى البيت حالما نشعر بالملل، دون أن يحس بنا أحد.»

فسأله اللورد: «وكيف يمكننا ذلك؟»

فأجاب السفير: «لأن حديقة الكونت متصلة بحديقتنا. هناك بوابة بين الحديقتين هي مقفلة في العادة. ولكنها هذه الليلة ستكون مفتوحة. وأنا أؤكد لك بأنني لن أتأخر في الحفلة.»

فابتسم اللورد قائلاً: «ولا أنا.»

فقالت اللايدي: «أظنكما ستحرمان أنفسكما من الإستمتاع بهذه الحفلة، ليس إلا. أنا شخصياً لا مانع لديّ من البقاء حتى الفجر.»

فقال السفير: «إنني واثق يا سيدتي، من أن المعجبين بك سيشجعونك على ذلك، ولكن حيث أننا لا نريد أن نتأخر عن موعد العشاء، أظن من الأفضل أن ندخل الحفلة من باب منزل الكونت الأمامي، وبهذا نكون قد وصلنا بكل فخامة وأبهة.»

وضحكوا جميعاً، ثم سارت اللايدي والمر في المقدمة متجهة نحو موقف العربات.

تنهدت أوديتا، وعادت إلى غرفتها.

وبينما كانت تراقب كل من غادر المكان، كان عشاؤها قد أحضر إلى الطابق الأعلى حيث وضع على خوان قرب النافذة. وكانت محظوظة لأن الطباخ كان يخصها بنوعين شهيين من الطعام، وزجاجة عصير طازج.

وبعد أن انتهت من تناول طعامها، ثم أنهت الثوب الأزرق، كانت أوديتا تتخيل تلك الحفلة التنكرية، وتتساءل كيف عسى أن تكون، وماذا يرتدي الضيوف المهمين من أزياء تنكرية فيها.

كانت قد سمعت بأن الأميرة فون مترنيخ، قد ظهرت في إحدى هذه الحفلات التنكرية مرتدية زي بائعة حليب وتحمل دلواً فضياً.

وفي أول حفلة تنكرية أقامتها تلك الأميرة، وكانت على شرف الأمبراطور، كان على كل ضيف أن يرتدي زياً تنكرياً بما في ذلك الإمبراطور الذي وضع على كتفيه عباءة فينيسية بينما تنكرت الإمبراطورة بزي ملكة قديمة.

وكان السيد شيفيلد، الذي كان حدّث أوديتا عن هذه الحفلة، قال بأنها أقيمت في السفارة النمساوية، وقد أقيمت قاعة خاصة للإحتفال في الحديقة جعلت جدرانها من المرايا، وغطيت بقماش من الساتان ذي لون أزرق فاتح.

فهتفت أوديتا، عند ذاك، قائلة: «آه، كم أتمنى لو يقيم السفير حفلة هنا تشبه تلك الحفلة.»

فأجابها: «لا أظن هذا محتملاً، ففخامته لا يحب الحفلات، والأمر الوحيد الذي يقوم به، هو السير حتى المبنى المشيّد في الجهة المقابلة من الشارع، ثم يعود.»

www.rewayti.net

لقد ضحكت أوديتا عند ذاك، ولكن، لا بأس، كانت فقط تتمنى لو أن السفير كان اجتماعياً أكثر مما هو عليه.

ومع أن اللورد واللايدي والمر كانا يذهبان إلى الحفلات كل ليلة، إلا أن الذين كانوا يأتون إلى السفارة من الضيوف، كانوا قليلين جداً.

مع أنها كانت تعلم أن ليس بإمكانها أن تكون معهم، إلا أنه، كما حدثت نفسها، كان بإمكانها أن تتفرج عليهم من أعلى السلم، على الأقل.

والآن، وهي تسمع الموسيقى تنساب من نافذتها، تصورت نفسها في تلك الحفلة. وطبعاً، لن تكون هي، بشخصيتها هذه، أوديتا شارلوود، فتاة مجهولة من مكان مجهول، وإنما ستكون أميرة فرنسية.

وفكرت لحظة، ثم قررت أن يكون اسمها شارليفال والذي هو قريب من اسم تشارلوود.

وما أن أخذت تتمايل برشاقة على أنغام موسيقى الفالس حتى أخذت تحدث نفسها بأن زوجها الأمير والذي يكبرها سناً، لم يستطيع مرافقتها، لسوء الحظ، إلى الحفلة لأنه كان مريضاً.

وكان هو سيقول لها: «ولكن يجب أن تذهبي وتمتعي نفسك، يا عزيزتي إنني أريد أن ترى باريس كلها مبلغ جمالك، وأظن أن هذا الثوب يظهر جمالك أكثر من أي ثوب آخر.»

فتقول هي: «ما ألطف هذا منك، يا جان.»

فيقول: «إنك تعلمين مبلغ حبي لك، والآن، إذهبي.»

فتغادر هي الغرفة تجرجر خلفها ثوبها الحريري فوق السلالم إلى حيث عربة زوجها في انتظارها لتأخذها إلى الحفلة التنكرية.

كانت عيناها شبه مغمضتين وقد افتر ثغرها عن ابتسامة، ولكنها ما لبثت أن استيقظت من أحلام اليقظة تلك بعد أن اصطدمت بحافة السرير.

لم تجد نفسها الأميرة دي شارليفال، إنما فقط أوديتا شارلوود التي جاءت إلى باريس لتخدم صديقتها بينيلوب، فحدث لها ما حدث لساندريلا إذ تركها الجميع في البيت وذهبوا إلى الحفلة.

وتنهدت ثم أخذت تفكر: «ليتني ساندريلا.»

وفي تلك اللحظة بالذات وانتها فكرة هي من الغرابة بحيث ضحكت من نفسها لمجرد التفكير فيها، ولكنها، عندما بدأت الموسيقى تتصاعد، نظرت إلى نفسها في المرآة، ثم اندفعت دون تفكير إلى غرفة بينيلوب.

كان على منضدة الزينة عدد من الأقنعة كان المفروض أن ترفعها أوديتا، ولم تفعل.

كان السيد شيفيلد قد أحضر صندوقاً مليئاً بالأقنعة لكي تختار منها اللايدي والمر ما يناسبها. ثم أحضرتها إيميلين بعد ذلك إلى غرفة بينيلوب، قائلة لأوديتا: «هاك يا آنسة. سيكون هناك عدد كبير من الناس في الحفلة هذه الليلة سيبدون أفضل كثيراً وهم مقنّعون، منهم دون أقنعة.»

كانت هذه انتقادات لاذعة اعتادت عليها إيميلين فأخذت أوديتا منها الصندوق، مطلقة ضحكة، مجاملة قصيرة، وهي تأمل أن لا تكون بينيلوب قد سمعت شيئاً.

ولكنها قد سمعت فعلاً. لأنها قالت: «لا يهمني ما يظنه الآخرون بمظهري باستثناء سيمون.»

فقالت أوديتا: «هذا طبيعي. كما أن إيميلين لم تكن

www.rewayti.net

تتحدث عنك. إنني متأكدة من أن هناك أناساً دميمين حقاً في فرنسا يسرهم أن يتنكروا. كما أن النساء اللاتي يخرجن لإمتاع أنفسهن سيمكنهن ذلك دون التعرض إلى انتقادات الأرامل.»

لقد تعمدت أن تختار لبينيلوب قناعاً جميلاً جداً. ولكن القناع الذي أعجبها أكثر من الآخرين كان صغيراً عليها.

أخذته أوديتا ووضعته على عينها، لترى نفسها وقد ظهر عليها الغموض، ومختلفة جداً عن مظهرها المعتاد.

منذ وجودها في باريس، وهي تصفف شعرها على الطراز الحديث حيث كانت خصل صغيرة تتدلى منه خلف رأسها. وكانت تشعر ان اللايدي والمر تنظر إليها بانتقاد، ولكنها ما دامت لا تذهب إلى أي مكان ولا تجتمع بأحد، لم يكن ثمة سبب تشتكي منه اللايدي.

وقالت بصوت عال: «ولكنني لا يمكن أن أقوم بعمل غريب كهذا. إنه خطأ.»

وتواترت الأسئلة في نفسها (خطأ بالنسبة لمن؟ ومن هو الذي سيتضرّر من ذلك؟ ومن سيعلم)؟

وابتسمت فجأة فظهرت غمازتاها على جانبي فمها.

وقالت بصوت عال: «إنها فرصة قد لا تسنح مرة أخرى. وأنا سأفعلها.»

ونظرت إلى نفسها مرة أخرى في المرآة، ثم عادت إلى غرفتها.

كان في كيس مجوهراتها الصغير الذي كانت تحرص على أن لا يفارقها، خاتم زواج أمها.

وضعته في إصبعها، وكانت تعلم أن هناك شيئاً آخر

أيضاً عليها أن تقوم به. مشت في الممر على أطراف أصابعها متجهة إلى غرفة اللايدي والمر فرأتها، كما كانت متوقعة في غاية الأناقة والنظام.

وكانت إيميلين قد أخبرتها أنها ستذهب، حال خروج سيدتها إلى الحفلة، إلى زيارة لبعض أقاربها وأصدقائها. وكانت قد قالت: «لا حاجة بي إلى العودة قبل الفجر. وتأكدي من أن سيادتها لن تترك الحفلة قبل أن يتركها آخر شخص فيها.»

وكانت أوديتا قد سألتها: «هل هنالك ما ترتدينني أن أفعله لأجلك؟»

فأجابت إيميلين: «كلا، شكراً، ولطفك هذا الذي جعلك تسألينني ذلك، لن أنساه لك أبداً.»

دخلت الآن أوديتا الغرفة، متجهة إلى منضدة الزينة حيث وجدت ما كانت تبحث عنه على الفور، وهو علبة صغيرة تحتوي على أحمر شفاه وردي اللون مما تضعه اللايدي والمر على شفتيها.

وبمهارة تامة، وضعت أوديتا اللون الوردي على شفتيها، كما وضعت شيئاً من البودرة على وجهها.

ولم تكن بحاجة إلى ذلك، في الحقيقة، ولكنها كانت تعلم أن شكلها سيبدو غريباً من دونه.

وخرجت من الغرفة مغلقة الباب خلفها وقلبها يخفق عالياً لجرأتها هذه.

كان الخطر الحقيقي الذي تتعرض له، هو أن يراها أحد الخدم. ولكنها كانت واثقة، حيث أن السفير كان في الخارج، من أن الخدم سيكونون عند أسفل السلالم.

www.rewayti.net

حتى الحرس لن يكونوا موجودين إلا اذا كان حضور سيدهم محتملاً.

وكانت على صواب.

ولم يرها أحد وهي تهبط السلالم الملتوية متمسكة بالدرابزين، ومن ثم تنسل خفية من الباب الخلفي.

شعرت بالمرج الأخضر كالقطيفة تحت خفيها الحريريين، وتنقلت بين ظلال الأشجار إلى أن وجدت بوابة تقود إلى الحديقة الثانية.

وتبعت صوت الموسيقى المستمرة في الإرتفاع، وكذلك من خلال أوراق الشجر، أمكنها أن ترى الأضواء التي علمت فيما بعد أنها فوانيس صينية تقاوم الرياح.

وما أن انتقلت إلى الحديقة التالية، حتى سارت في ممرّ اخترق بها أجمات كثيفة. وسرعان ما شاهدت جموع المدعوين منتشرين في الشرفات حتى أطراف الحديقة.

وتملكتها البهجة والإثارة. ورأت النساء، ليس فقط في ملابسهن الجميلة، بل في أزيائهن التنكرية.

كانت قد نوت البقاء في الظلال لتتفرج على هذا كله، ولكن، حيث أن المنظر كان يخلب الألباب، تقدمت أكثر إلى الأمام لكي تستطيع الرؤية جيداً.

كانت هناك أزياء بجميع الأشكال والصفات.

وكانت بعض النساء قد تنكرن بأزياء الملكات مثل ماري إنطوانيت.

أحد الأزياء التي أدركت أوديتا بسرعة أنه من صنع وورث، كان من التول الأبيض المطرز بالفضة اللامعة، وكانت لابسته تضع نجمة متألقة من الماس على رأسها.

وكان المدعوون يخرجون إلى الحديقة للإبتراد في جوها المنعش.

كانت أوديتا تحدق مفتونة في سيدة ترتدي ثوباً رائعاً، عندما سمعت صوتاً بجانبها يقول: «هل تنتظرين صديقاً قد تخلف عن موعده، أم أنك أتيت من العدم لتتفرجي علينا نحن البشر الفانين؟»

كانت الكلمات بالإنكليزية، ولكن بصوت تبدو السخرية في لهجته والملل في نفس الوقت.

نظرت حولها بسرعة فرأت بجانبها سيداً طويل القامة بدا لها، للحظة واحدة، وكأنه غير حقيقي. كان يضع قناعاً على عينيه، وعلى كتفيه عباءة فينيسية، وتبادر إلى ذهنها، ليس فقط لأنه تكلم بالإنكليزية، بل من شكله بوجه عام، تبادر إلى ذهنها أنه إنكليزي.

كان أول ما فكرت فيه أوديتا، هو الهرب، ولكن، وكأن أحلام اليقظة قد عادت تتملكها كالعادة، وجدت نفسها تفكر في ما عسى أن يكون جواب أميرة تجاه السؤال كهذا. وبعد سكوت قصير، أجابت بالفرنسية: «إنني وحيدة، أيها السيد.»

فقال السيد: «ومع هذا، فأنا واثق من أنك تتكلمين الإنكليزية بشكل جيد جيداً، وهكذا سنتحدث بلغتي لأنني أجدها أكثر سهولة.»

فلم تتمالك أوديتا من الإبتسام. فقد كانت تعرف أن الإنكليز يجدون صعوبة في لفظ اللغة الفرنسية بشكل صحيح.

وسألها: «هل تجلسين معي؟»

www.rewayti.net

وللحظة واحدة، فكرت أوديتا في الرفض.

ومرة أخرى، تسلمت الأميرة في أعماقها زمام الموقف، فقالت: «شكراً يا سيدي. يسرني هذا في هذه الحديقة الرائعة.»

وسارت معه تجرجر ذيل ثوبها خلفها، واثقة من أن القناع سيمنع اللايدي والمر من تمييزها.

كانت الموسيقى الآن، كما رأت أوديتا، قد ابتدأت بألحان شتراوس ما أسبغ على المكان جواً شاعرياً حالماً.

النجوم فوق الرؤوس، الفوانيس الصينية تتدلى من أغصان الشجر، خفقات الشموع من داخل قاعة الإحتفال، كثرة الأثواب الغريبة والرائعة كل ذلك جعلها واثقة من أنها دخلت إلى أحد أحلامها تلك.

جلسا معاً إلى منضدة في ناحية من الحديقة حيث أحضر لهما الخادم كوبي العصير.

كان جلوسها هذا، لأول مرة في حياتها، مع مثل هذا السيد الشاب الفارع القامة، كان حدثاً سلب منها اللب.

قال لها: «منذ رأيتك، شعرت بأنك لست من هذا العالم. إنك من الرقة والحلاوة بحيث يخيل إلي انك قد نزلت من نجم ما إلى هذه الأرض الصاخبة.»

فقالت ضاحكة: «وطبعاً، عندما ينتصف الليل، عليّ أن أطير راجعة.»

فقال: «أرجو أن لا تقومي بمثل هذا العمل.»

كان يتحدث بنفس اللهجة الساخرة الجافة التي كان تكلم بها في البداية، وهكذا لم تكن واثقة مما إذا كان جاداً أو هازلاً.

وقال يسألها فجأة: «والآن، حدثيني عن نفسك.»

فأجابت بفرنسية طليقة: «أتعني أن عليّ أن أصف مكاني في الفضاء بين النجوم؟ وهل اخبرك ان كنت جئت من طريق التبانة، أم من أحد الكواكب؟»

فأجاب: «لا بد أنه كوكب فينوس ملكة الجمال والحب.»

فضحكت أوديتا، وهي تقول: «ربما، يا سيدي، من الأفضل أن تخبرني أنت عن سبب وجودك في باريس.»

«جواب ذلك واضح، وهو انني جئت لأقابل فتاة رائعة الجمال مثلك.»

«إنك، بهذا، تتجنب الإجابة بمهارة.»

«أتظنين أنني أتجنب ذلك، كما تجنبت أنت إخباري عن إسمك؟ دعينا نبدأ من البداية. ما هو إسمك؟»

فأجابت دون تفكير: «أوديتا.»

«إنه اسم جميل، ولكن ماذا أيضاً؟»

«المفروض فينا التخفي هذه الليلة، ولهذا نرتدي الأقنعة [illegible].»

«يبدو أنك تتهربين حقاً. إذن، دعيني أؤكد لك بأنني سأجعل من الكشف عن سرك، عملي الدائم.»

«وما الذي يهمك مني؟»

«أتريدين حقاً الجواب لهذا السؤال؟»

«هذا شيء طبيعي.»

فابتسم للطريقة التي نطقت بها هذه الكلمات، وقال: «يبدو وكأنك تطمعين في الإطراء، بينما أنا واثق من أنك [illegible] و أتخمت بذلك، كما أنني لست بفصاحة رجل فرنسي.»

«لكن جوابي لهذا يجب أن يكون تطميناً لكي لا تنشأ عندك عقدة نقص.»

www.rewayti.net

كانت تتكلم شاعرة بالسرور لتمكنها من إغاظة مثل هذا السيد الساخر، إذ كان لديها شعور، وإن كانت لا تعرف السبب، بأنه أكثر هيبة من أن يكون تعرض لمثل هذا في الماضي.

قال: «لا شك أن هذا شيء لم يعرف عني من قبل. إنني في الواقع، أعتقد أن سمعتي هي أنني مستبد متكبر.»

«وهل أنت كذلك؟»

«أرجو هذا. فأنا لا أطيق أولئك الناس الخاضعين الأذلاء، وذلك لعدم ثقتهم بأنفسهم.»

وابتسمت أوديتا متهكمة.

لا شك أن ليس لديه فكرة عن أن البعض لا يجدون أمامهم سوى طريق المذلة إذا كانوا فقراء عديمي الشأن، أما الشعور بالخضوع، فقد كانت واثقة تماماً من أن هذا السيد يجد أي رأي آخر فيه، لا يحتمل النقاش.

ويبدو أن غمازتيها كشفتا ابتسامتها، إذ أنه قال بعد لحظة: «لديّ شعور بأنك تضحكين مني. وهذا شيء قد لا يعجبني.»

فقالت: «ربما ما دمت واضعاً قناعاً على عينيك يخفي الرهبة من شخصيتك عنها عندما تكون بدونه لتسحق من يسيء إليك بنظرة منك صاعقة.»

ضحك وقال: «هل أنت خائفة من أن يحدث هذا لك؟»

فقالت: «طبعاً. إن الرعب يتملكني. فأنا أراك رجلاً ظالماً. ولكن الرجال الإنكليز هم غالباً كذلك.»

«كم عدد الرجال الإنكليز الذين تعرفينهم؟»

وهنا فكرت أوديتا بأنها كانت على وشك كشف سرها

لقد كانت تتحدث بعناية بما يفترض أنها لهجة فرنسية، وها هي ذي الآن تقلد الفرنسيين بالإشارة بيديها وهي تتحدث. فتجيب: «وكيف يمكنني إحصاؤهم.»

فنظر إلى خاتم الزواج في يدها، وكانت قد خلعت قفازها عند جلوسها، ثم قال: «إذن، فأنت متزوجة؟ هل زوجك هنا؟»

فأجابت: «كلا، إنه في المنزل. مسكين جان، إنه مريض.»

«ولهذا جئت بمفردك، وأظنك تريدين أن تري شكل التسلية التي ستجدينها في غيابه.»

«أظنك تفترض يا سيدي أشياء كثيرة دون أساس. وهذا، على كل حال، أمر لا يهمك؟»

لم يقل السيد شيئاً، وتابعت هي تقول: «أظن من الأفضل أن أعود إلى أصدقائي.»

وحاولت أن تنهض واقفة، ولكن الرجل منعها من ذلك، قائلاً: «لا تتركيني. إنني أعتذر إذا كنت أسأت إليك. ولكنني أريدك أن تبقي معي.»

«لماذا؟ يوجد هنا العديد من الناس ويمكنك الجلوس معهم.»

«ليس هنا سوى نجم صغير هبط من الفضاء الكوني، وهو الذي يهمني.»

تنفست أوديتا نفساً عميقاً. لقد تملكها شعور غريب، وجدت نفسها بأن من الغرابة والإثارة أن تجد رجلاً يتحدث بلهجة بأن فيها الإخلاص. وقد كان هذا بالضبط، نوع الحديث الذي كانت تتصوره في أحلامها.

www.rewayti.net

بقيت أجوبتها حتى الآن، بطريقة كانت تفكر أنها التي كانت ستجيب بها الأميرة. مفترضة أن الحنكة وسعة البديهة، لا بد أنها جزء لا مناص منه من مواجهة كهذه.

وسألها السيد: «هل صفحت عني؟»

«لأنها ليلة جميلة، من الصعب أن أفعل شيئاً آخر.»

«إن الليل لا يهمني بشكل خاص، ولكن إذا كان واسطة ليتدخل لصالحي، فأنا إذن أقبل منه العون، شاكراً.»

وساد صمت قصير، ثم سألها: «هل تبقين معي طوال الحفلة؟»

«أظن أن عليّ أن أقول، كلا.»

«أريدك أن تقولي نعم، ثم ليس في نيتي أن أدعك تجلسين مع أحد آخر. وهكذا عليك يا أوديتا أن تذعني لما أريده، وذلك بكل وداعة.»

«ها أنك أصبحت الآن لا تطاق، بكل تأكيد.»

فقال بكبرياء: «يجب أن أتصرف تبعاً لما هو معروف عني.»

عادت تجلس على مقعدها باسترخاء، وساد بينهما نوع من الصمت خيّل إليها أنه ناطق، وأن كلماته تلتمع وتتلألأ مثل هؤلاء الناس الذين يتحركون حولهما والنجوم التي تتألق فوق رأسيهما. وأخيراً، قال السيد: «أظن أن علينا أن نتناول العشاء باكراً، إذ ربما سيكون من الصعب علينا، فيما بعد، أن نجد مائدة.»

فقالت موافقة: «هذا شيء حسن.»

وسار إلى ناحية أخرى من الحديقة حيث كانت بعض الموائد منتشرة تحت الأشجار، وقد أضيئت كل منها

بمصباح أحمر يوحي للجالس إليها بانطباع هو أنه وحده في جزيرة منعزلة.

إتجه بها السيد إلى مائدة بعيدة عن الأخريات، ما شعرت معه أوديتا بالسرور. فمهما يكن السبب الذي ألجأه إلى ذلك، فإنه لا يجعلها مكشوفة للأعين.

وأحضر لهما النادل الكافيار وكوبين من العصير.

وما أن أدارت أوديتا نظراتها حولها، حتى جذب بصرها منظر غرفة الطعام والملابس التنكرية التي يرتديها الضيوف الآخرون. وانتبهت إلى أن مرافقها لم يكن يأكل أو يشرب، وإنما كان جالساً ينظر إليها فقط.

نظرت إليه مستفسرة، ثم تساءلت عما يمكن أن يكون شكله من دون القناع.

كانت ذقنه مربعة تدل على الحزم، وفمه على شيء من القسوة، وعلى ضوء المصباح، كان بإمكانها أن ترى خطوطاً ساخرة تمتد من أنفه إلى جانبي فمه.

وابتسم فجأة، فتغيرت ملامحه، ثم سألها: «هل من الممكن أن تكوني فضولية؟»

فأجابت بسرعة: «بالنسبة إلى من تكونه، يا سيدي؟ قد يكون هذا صحيحاً بالنسبة إلى أنك تعيش في الناحية الأخرى من القنال.»

فقال: «ولكنني هنا معك، حالياً، إنني أشعر برابطة تجمعنا في الواقع.»

فقالت: «إن لديّ فكرة، وهي أنك تتعمد التصرف كشخص فرنسي، يا سيدي. فأنا واثقة من أن الرجل الإنكليزي لا يقول كلاماً كهذا لفتاة يراها لأول مرة.»

www.rewayti.net

فأجاب: «إنك على حق تماماً في رأيك هذا. ولكن من الصعب، هذه الليلة، أن أتذكر أنني، كرجل إنكليزي، عليّ أن أكون بارداً متحفظاً وغير صريح.»

فضحكت قائلة: «إنني واثقة من أنك لا يمكن أن تكون كذلك.»

فأجاب: «هنا، أنت مخطئة. هل يمكنني أن أخبرك أنني عندما جئت إلى هنا هذه الليلة، حدثت نفسي بأن هذه السهرة ستكون مملة بشكل فوق العادة، وسأترك الحفلة في أول فرصة تسنح لي؟»

«لماذا؟ لماذا يساورك مثل هذا الشعور؟»

«أولاً، لأنني لم أكن راغباً في القدوم إلى الحفلة، فإن الملل يتملكني وأنا أرى الرجال والنساء يتصرفون كالأغبياء إذ يرتدون ملابس كالمهرجين في السيرك.»

كانت لهجته لاذعة دون شك، ولكن بما أنها كانت تتناقض، بشكل ما، مع جمال الحديقة وما تشعر به أوديتا من إثارة، فقد قالت بسرعة: «لا تتكلم... بهذا... الشكل.»

«لِمَ لا؟»

«لأنك تفسد عليّ هذه السهرة. فأنا أرى الحفلة مثيرة جداً وجميلة جداً. وأنا أريد أن أستمتع بكل لحظة فيها. فأنا أريدها أن تكون شيئاً... أذكره دوماً.»

ساد صمت قصير، قال السيد بعده: «إنك تتكلمين وكأن هذا كله جديد تماماً عليك. أم تراك راحلة بعيداً؟»

ورأت أوديتا أنه بالغ الفطنة، وكان هذا شيئاً خطراً، فقالت بسرعة: «إنني... أريد فقط أن... أمتع نفسي.»

«إنني لن أفسد ذلك عليك، ولكنك جعلتني فضولياً أكثر من السابق.»

أحضر النادل المزيد من الطعام، ولكن أوديتا كانت تأكل دون تفكير، وحتى دون تذوّق لنكهة الطعام.

كانت تريد أن تحتفظ بكل ما تراه حولها، في ذاكرتها وعقلها، كما أنه كان من المثير أن تدرك أنها أثارت فضول الرجل الذي معها حتى أصبحت عيناه لا تفارقان وجهها.

ولاحظت أن الوقت قد طال بهما على المائدة، وأن الناس يروحون ويجيئون حولهما، والموائد تخلو وتمتلىء بأناس آخرين.

وسألته: «كم الساعة؟»

فأخرج من جيب صداره ساعة ذهبية، ثم قال: «إنها الواحدة والنصف، تقريباً.»

فصدرت عنها صرخة قصيرة.

«أتراني تأخرت إلى هذا الحد؟ لقد كنت أخبرتك أن عليّ أن أذهب عند منتصف الليل، مثل ساندريلا.»

«حسناً، إذا كانت عربتك قد استحالت إلى ثمرة يقطين، فملابسك لم تصبح أسمالاً بالية كما حدث لساندريلا، كما أن حذاءك البلوري ما زال في قدميك.»

فابتسمت أوديتا، قائلة: «إنك تعرف الحكايات الخرافية.»

فأجاب: «لقد كنت نشأت عليها، وأتصور أنك أنت أيضاً كذلك.»

«طبعاً. ثم إن حكاية ساندريلا قد كتبها رجل فرنسي، وكانت دوماً حكايتي المفضلة.»

«لا أستطيع تصورك جالسة في المنزل مثل ساندريلا بينما أخواتك الدميمات قد ذهبن إلى الحفلة.»

www.rewayti.net

ووجدت أوديتا نفسها تبتسم. لم يكن لديه فكرة عن مبلغ اقترابه من الحقيقة.

ولم تتكلم، فقال بعد لحظة: «ما الذي تخفينه عني، باستثناء إسمك؟ ألا تشعرين أننا الآن قد أصبح كل منا يعرف الآخر إلى حد وجب عليك أن تخبريني بالحقيقة؟»

«إذا أنا فعلت ذلك، فقد تشعر بخيبة الأمل. لقد تقابلنا في حفلة مقنّعة، وقد يستحيل الخيال الجميل إلى واقع تافه إذا نحن رفعنا قناعينا وكشفنا عن حقيقتنا.»

فأجاب: «أشك في ذلك.»

وسكت لحظة ثم قال بصوت منخفض: «يجب أن تعلمي حتى دون أن أخبرك، أنني أريد رؤيتك مرة أخرى. فلنكف إذن عن هذه الألاعيب. وسأبدأ أنا بإخبارك بأنني الإيرل أوف هاوتون.»

فصدرت عنها شهقة قصيرة، ثم حدقت فيه من وراء قناعها غير مصدقة.

لم يكن الإيرل قد توقع أن تكون قد سمعت باسمه. ولكنها فعلت ذلك ولسبب مختلف تماماً عما قد يكون ظنه.

بدا أنها لعبة غير معقولة. فأن يكون هذا الغريب الذي قابلته بالصدفة، وفي حفلة هي غير مدعوة إليها، وليس لها الحق في حضورها، أن يكون رجلاً كانت تكره التفكير فيه رغم أنها لم تقابله قط. فهذا شيء بعيد عن التصديق.

لقد كانت أمها تمتّ إليه بصلة قرابة بعيدة.

وكانت قالت لها مرة: «إنه ابن عم بعيد النسب ومع هذا، فإني فخورة بدم آل هاوتون الذي يسري في عروقي، أو لعلّي كنت كذلك.»

وكانت أوديتا تعلم أنها قالت ذلك بصيغة الماضي لسبب هو أن أمها كانت قد قررت منذ سبع أو ثماني سنوات، أن أباها يجب أن يُنقل من أدينهام إلى عمل مشابه في مكان آخر يدر عليه راتباً أفضل.

كانت قد قالت لأوديتا: «لقد عشنا هنا منذ بداية زواجنا، ومع أنني كنت سعيدة، سعيدة جداً مع أبيك فقد كنت أشعر بأنه يضيّع عبثاً مواهبه وشخصيته في مثل هذه القرية الصغيرة حيث لا يوجد أحد بمائله ثقافة أو قوة في الذهن بحيث يستطيع أن يتبادل معه الحديث والآراء.»

وسألتها أوديتا في ذلك الحين: «وما الذي ستفعلينه بهذا الشأن؟»

وشعرت عندئذ بأن الأفكار قد شردت بأمها، ثم قالت: «بحيث أنه لا يوجد وظيفة خالية أفضل من هذه، وإذا وجدت فإن أباك لن يحصل عليها، فقد خطر لي أن أكتب إلى الإيرل أوف هاوتون.»

فقال أوديتا تطمئنها: «إنني واثقة من أنه سيساعدك يا أمي بصفته قريبك.»

فقالت أمها: «إنني لم أر الإيرل الحالي هذا منذ كان صبياً. ومع ذلك، فقد كنت من آل هاوتون قبل زواجي، والمفروض أن صلة الدم قوية.»

«وهل لدى الإيرل وظائف كثيرة؟»

فأومأت أمها، قائلة: «إنه غني جداً، وذو نفوذ كبير، وأنا واثقة من أن لديه العشرات منها. ربما سيظن أنني فقط أحاول التقرب منه، ولكن إذا لم يكن هناك مغامرة، فليس هناك ربح.»

www.rewayti.net

فسألتها أوديتا: «وما الذي سيقوله أبي عن هذا؟»

فعادت أمها تضحك قائلة: «إن أباك ليس من هذا العالم. إنه أقل الناس طموحاً. إنه لا يريد شيئاً لا يملكه حالياً والذي هو زوجته وابنته وكتبه.»

وتنهدت الأم، وهي تتابع: «لكنني أريد الكثير ليس لأجل نفسي، بل لأجلك يا عزيزتي. بعد سنوات قلائل ستكونين جميلة جداً، وأريدك أن تحصلي على كل ما حصلت أنا عليه عندما كنت شابة.»

«هل غضب منك أقرباؤك عندما تزوجت أبي؟»

فأجابت الأم: «لقد غضبوا طبعاً. لقد كانوا يريدونني، حيث أنني كنت جميلة جداً، أن أتزوج شخصاً مهماً جداً وبالغ الثراء. ولكنني أحببت أباك وأحبني هو، فلم أعد أهتم لشيء.»

لقد رأت أوديتا أمها وهي تكتب الرسالة، ثم وهي ترسلها، ثم انتظارها للجواب بفارغ الصبر.

وعندما وصل الجواب، وقرأت أمها الرسالة، تملكها الغضب. وكان هذا نادراً ما يحدث لها.

وسألتها أوديتا متوجسة: «ما الذي أغضبك يا أمي؟»

فأجابت الأم: «هذه الرسالة.»

«هل هي من الإيرل أوف هاوتون؟»

«نعم. ويمكنك أن تقرأيها إذا شئت.»

وضعت أمها الرسالة على المنضدة بجانبها، ثم غادرت الغرفة. وأدركت أوديتا أن ذلك كان لكي تخفي دموعها.

كانت الرسالة قصيرة جداً، وكانت تقول:

حضرة السيدة شارلوود،

لقد استلمت الرسالة التي أرسلتها إلي لصالح زوجك آرثر شارلوود، تسالينى ما إذا كنت أضعه في الإعتبار إذا شغرت إحدى الوظائف في أحد الأبنية الواقعة في أملاكي.

طالما حذرني أبي من أن مساعدة الأقارب هو خطأ، لأنهم ناكرون ويقومون دوماً بما يستوجب الإنتقاد. وأنا أنوي الآن، بصفتي رأس العائلة، أن أقتدي به وأتبع نصيحته.

المخلص هاوتون

لقد قرأت أوديتا الرسالة تلك، فتملكها نفس الغضب الذي تملك أمها.

ونظراً لخيبة الأمل التي تملكتهما، هما الاثنتين، لم يذكرا الإيرل بعد ذلك قط.

وها هي ذي الآن تحدث نفسها بأنها تكرهه. ولو أمكنها أن تسبب له الأذى كما سبق وسببه لأمها ولأبيها بطريق غير مباشر، حتى ولو لم يعلم بذلك، فهي ستفعل ذلك.

ومرة أخرى، عاد إليها عالم أحلامها فتصورت الرجل الجالس بقربها هو الوغد الذي يكون في المسرحيات عادة، والذي، في نهاية المسرحية، يكشف عنه القناع وينال عقابه لغدره وخيانته.

وتساءلت عن الطريقة المفروض أن تعامله بها الأميرة دي شارليفال الخيالية، ثم علمت ما عليها أن تفعل.

قالت: «إنك ذو شخصية هامة جداً، يا سيدي وأنا أيضاً لي مركزي في فرنسا، ولكني لا أظنك سمعت بي.»

«أخبرني باسمك.»

www.rewayti.net

«إن زوجي هو الأمير جان دي شارليفال.»

«إذن فأنت أميرة. كان هذا ما توقعته. ثم إن الأميرة أوديتا هو اسم جميل لامرأة جميلة جداً.»

«ها إنك تطريني مرة أخرى، يا سيدي.»

«كلا. إنني أقول الحقيقة. متى بإمكاننا أن نجتمع مرة أخرى؟»

فهزت أوديتا كتفيها.

قال: «إنك تعلمين كما أعلم، أن علينا أن نتبادل الحديث. هل تتغدين معي؟»

فهزت رأسها، فقال: «نتناول العشاء إذن.»

فأخذت تحاول أن تتذكر ما سيقوم به اللورد واللايدي والمر، وتذكرت وكأنما كتب ذلك أمامها بأحرف من نار ان السفير سيأخذهما ومعهما بينيلوب إلى قصر التويلري الأمبراطوري.

كانوا مدعوين إلى حفلة عشاء مع الإمبراطور والإمبراطورة أقيمت على شرف أعضاء المؤتمر الذي كان اللورد والمر عضواً فيه.

وقال الإيرل بإصرار: «هل يمكنك القدوم إلى العشاء؟»

«أظن... ذلك... ولكنني أعتقد أن عليّ أن أقول، كلا.»

«ولكن، حيث انني أريدك أن تتعشى معي، وأن أتحدث إليك، لأن هنالك أشياء كثيرة أريد أن أقولها لك، فإنك ستأتين.»

«ربما... إذا كان ذلك... ممكناً.»

«إلى أين سآتي إليك إذن؟»

«عليك أن لا تفعل ذلك. إن ذلك سيكون... ماذا تسمي

ذلك... إن تناولنا العشاء بمفردنا سيكون خارجاً عن العرف.»

«كيف بإمكاننا الإجتماع إذن؟»

فأخذت أوديتا تفكر بسرعة. ثم تذكرت بأنه إذا كان يوجد بوابة بين السفارة وهذه الحديقة، فهناك بوابة أيضاً، وقد رأتها بنفسها، تقود إلى الشارع في الخارج.

بقيت صامتة لحظة قبل أن تقول: «إذا كنت تستطيع أن تنتظرني في عربة في شارع دي لابيير الساعة الثامنة والنصف، فسآتي إليك... إذا كان هذا ممكناً.»

فقال يردد كلامها: «إذا كان هذا ممكناً؟ بل يجب أن يكون ممكناً. وإذا أنت لم تأت، فسأبحث عنك في باريس كلها. ولا بد أن هنك من يعرف أين تسكنين.»

فأجابت: «إني أشك في قدرتك على العثور عليّ. فنحن نقيم مع بعض الأصدقاء.»

«فهمت. وأنت لا تريدين أن يعلم أصدقاؤك أنك معي.»

«كلا... كلا بالطبع، وإلا فتصيبهم صدمة.»

«إذن، فعليك أن تخترعي عذراً مقبولاً. ولكنني أريد فعلاً أن أراك مرة أخرى، ولن يستطيع أحد أن يمنعني من ذلك.»

وكانت في لهجته نبرة حازمة ومختلفة تماماً عن اللهجة الساخرة التي كان تحدث فيها إليها في البداية، وابتسمت أوديتا بينها وبين نفسها.

كانت مخيلتها قد أعدت خطة تقصد من ورائها إزعاج الإيرل انتقاماً منه لتصرفه الشائن ذاك نحو أمها.

ووقفت قائلة: «دعنا نطوف في الحديقة قليلاً، وفيما بعد ستغير عقلك في أن تراني مرة أخرى.»

www.rewayti.net

«إنك تعلمين أن هذا كلام أحمق، فأنا أريد ذلك بشك
لا أستطيع وصفه بالكلمات، في الإنكليزية على أ
حال.»

فقالت باسمة وهما يسيران في أنحاء الحديقة: «جرب
اللغة الفرنسية بدلاً من ذلك.»

فأجاب: «كلا، بل سأترك ذلك لضربات قلبك وقلبي.»

وفجأة، شعرت أوديتا بالخوف من هذه الطريقة التي
يتكلم بها معها. فقد شعرت وكأنه يكاد يستولي على عقلها
حتى لا تكاد تستطيع التفكير.

وقالت: «كم أنا غبية، فقد تركت منديلي على المائدة.»

«وهل هو مهم بالنسبة إليك؟»

«إنه منديل بالغ الجمال وأنا أكره فقدانه.»

فقال: «إذن، عليّ أن أحضره لك، لن أغيب عنك أكثر من
دقيقة.»

«آسفة لكوني سأزعجك...»

فأجاب: «هذا ليس إزعاجاً.»

ومضى إلى نهاية الحديقة حتى غاب عن البصر، عند
ذلك، تحركت أوديتا بسرعة، فسارت تحت الأشجار إلى أن
وصلت إلى الممر الذي يخترق الأجمة نحو البوابة التي
تقود إلى حديقة السفارة وكانت مفتوحة فتسللت منها، ثم
أسرعت تجتاز المرج الأخضر.

كانت قد تأخرت كثيراً، وكانت خائفة من أن تجد باب
الحديقة مقفلاً فلا تستطيع الدخول إلى المنزل. ولكنها ما
لبثت أن حدثت نفسها بأن لا حاجة بها للخوف.

ذلك أن اللايدي والمر لم تكن لتفكر في العودة إلى

المنزل باكراً، وكان الخطر الحقيقي هو في إمكان
مصادفتها اللورد والمر أو السفير.

وعلى كل حال، لم تصادف في طريقها أحداً، فصعدت
السلالم حيث اتجهت إلى غرفتها.

وتساءلت عما إذا كانت بينيلوب قد عادت أم لا، ولكنها
رأت أن هذا غير محتمل. وعلى كل حال، فمن الخطأ أن تدع
أحداً يعلم شيئاً عما فعلت. وقفت تنظر إلى نفسها في
المرآة، لحظة، وعندما رفعت القناع عن وجهها، رأت
عينيها تلتمعان ووجنتيها تتوهجان.

قالت تحدث نفسها، يا لها من مغامرة حافلة بالبهجة
وفي نفس الوقت، يجب أن أعاقب الإيرل، يجب أن أجعله
يدفع ثمن تصرفه القاسي نحو أمي.

وفجأة، رفعت ذراعيها عالياً وهي تقول، إنه الحظ الذي
يخدمني. ثم ركضت إلى النافذة.

كانت الموسيقى ما تزال تعزف، والنجوم ما تزال تتلألأ،
وكانت تعلم أن الإيرل لا بد يفتش عنها في الحديقة التي في
الجوار فكرت في أنه لا بد أن يكون غاضباً. وابتسمت وهي
تفكر في مبلغ انزعاجه.

ثم فكرت، وهي تتنهد بسعادة صافية، في أن حلماً من
أحلامها قد تحقق في هذه الليلة.

www.rewity.com
hinda70

www.rewayti.net

الفصل الرابع

في الصباح التالي، كانت أوديتا واثقة من أنها كانت تحلم طوال تلك الليلة.

مع أنه، عندما استيقظت، كان هناك قناع أسود صغير على منضدة الزينة، والثوب الأزرق معلقاً في خزانتها بحاجة إلى كي. بقيت مستلقية في السرير مدة طويلة تفكر في جمال تلك السهرة وغرابة لقائها بالإيرل الذي كان تسبب في تلك الصدمة لأمها الحبيبة.

وقالت تحدث نفسها، طالما تمنيت لو أجعله يدفع ثمن تصرفه ذاك، وها قد سنحت لي الفرصة.

ولكنها، في نفس الوقت، لم تستطع إلا أن تتذكر ذلك الشعور الغريب الذي تملكها وهي تجلس مواجهة له. ومبلغ الإثارة التي شعرت بها وهي ترى أحد أحلامها قد تحقق.

وعندما نزلت إلى الغرفة الصباحية لتناول طعام الإفطار حيث كان آل والمر يتناولون الطعام وحدهم لم يكن هناك سوى اللورد والمر. وكانت قد سبق وعلمت أن بينيلوب كانت لا تزال نائمة.

قال برصانة: «صباح الخير يا أوديتا. لقد سبق وأدركت أنك ستكونين الوحيدة التي سترافقني في تناول الإفطار حيث أنك كنت مستمتعة بالنوم الهنيء طوال الليل بعكس زوجتي وابنتي.»

فأجابت: «لقد فكرت في أنهما ستتأخران في النوم، يا سيدي اللورد.»

فقال اللورد: «لقد عدت إلى البيت مبكراً. ولكن ليس مبكراً إلى الحد الذي كنت أتمناه.»

ورأت أوديتا أنه يبدو متعباً قليلاً. وبينما كان يسكب لنفسه شيئاً من الطعام، قال: «إن هذه السهرات المتأخرة تتعبني كثيراً، خصوصاً وعندي الكثير من العمل في النهار.»

فسألته أوديتا: «إلى متى تظن أنك ستبقى في باريس؟»

فأجاب اللورد: «إلى أن ينتهي عملي.» ولم تستفد شيئاً من هذا الجواب.

وعندما استيقظت بينيلوب، كانت تضج بالشكوى والتذمر من تلك الحفلة المملة.

قالت: «لقد تركوني أكثر الوقت بجانب إحدى صديقات زوجة أبي الفرنسيات التي أخذت تتحدث إلي بدون انقطاع عن أشياء لا تهمني مطلقاً.»

وفكرت أوديتا بمبلغ استمتاعها هي بكل لحظة من تلك السهرة رغم خوفها من جرأتها هذه.

كان هناك المزيد من القياس أثناء النهار، ولكن أوديتا كانت في لحظات الفراغ تنكب بكل انفعال على تغيير طراز ثوب يمكنها ارتداؤه تلك الأمسية.

لقد حدثت نفسها مئات المرات، أنها لا تنوي الذهاب وأنها ستدع الإيرل ينتظرها عبثاً.

ولكنها ما لبثت أن قررت أن عليها أن تراه مرة أخرى ولو لتتأكد من أن خطتها في الإنتقام ستكون ذات فعالية.

تتأكد أنها، بعد الذي قاله لها الليلة الماضية، والطريقة

www.rewayti.net

التي أخذ يكلمها بها، والتي بدا فيها صادقاً ما جعلها تشعر بأن ذلك ربما كان أكثر من مجرد الغزل، أدركت أن لا شيء أكثر فعالية من أن تعلّق قلبه بها، ثم تختفي بعد ذلك.

وحيث أنه كان رجلاً بالغ الجاذبية رغم القناع الذي كان يضعه على وجهه، ثم مركزه العالي، بدا غريباً أن يتعلق بفتاة غريبة قابلها في حفلة، وهو يعتقد أنها إمرأة متزوجة. ولكن، لأن هذا بدا جزءاً من أحلامها، أحبت أوديتا أن تعتقد انه رآها جميلة، وأن هذا سيكون جزءاً من قصة خرافية إذا هو بقي طوال النهار يتطلع بشوق إلى رؤيتها مرة أخرى.

قالت تحدث نفسها، سأراه مرة أخرى، فإذا كان بنفس حماس الليلة الماضية، يمكنني إذن أن أختفي وأنا واثقة من أنه سيشعر بالإحباط وربما بالغضب لأنني لم أجده جذاباً كما يظن نفسه.

وفي نفس الوقت، كان يساورها شعور مزعج بأنها تؤلف الأعذار لتصرفاتها هذه.

ولكنها رفضت الإستماع إلى ما يقوله عقلها، ومضت تغير من طراز أحد أثواب اللايدي والمر الغالية الثمن، إلى طراز من تصميم وورث. ولأنها كانت في عجلة من أمرها، استمرت في العمل بثوب كانت قد سبق وابتدأت في تغييره، ولكن عندما اقتربت من إنهائه، فكرت في أنه أفخم من أن تلبسه أثناء عشاء هادىء.

وكانت إيميلين قد أخبرتها بأن اللايدي والمر كانت قد ارتدته في حفلة كبرى في قصر وندسور الملكي.

ومع هذا، لأن قماش الثوب كان من الفوال الخفيف، فقد

كان تغييره أكثر سهولة من بعض الأثواب الأخرى التي كانت مصنوعة من قماش الساتان الثقيل أو المقصب.

وقالت بينيلوب وهي ترى أوديتا منكبة على عملها: «اظن أن من الشهامة منك أن تفعلي ذلك لأجل إيميلين.»

فأجابت أوديتا: «إن قدرتها على بيع ملابس زوجة أبيك التي أعطتها لها، يهمها كثيراً.»

فقالت بينيلوب: «كان من الأفضل لو أنها أعطتها لك. إنك تعرفين أن بإمكانك أن تأخذي ثيابي ولكن لأنها ستكون عليك أقصر مما يجب، لا أعرف كيف سيمكنك تغييرها.»

فأجابت أوديتا: «هذا لطف منك. ولكنني لست بحاجة إلى مثل هذه الأثواب الفخمة.»

فقالت بينيلوب: «عندما أتزوج سيمون، يمكنك أن تأتي وتسكني معي، وسأعثر لك على زوج خلاب مثل سيمون.»

فابتسمت أوديتا بينها وبين نفسها، إذ مع أنها معجبة بسيمون، فإن آخر صفة يمكن أن تطلقها عليه هي أنه خلاب.

وبالرغم منها، وجدت نفسها تفكر في الإيرل وما شعرت به من جاذبية نحوه. وعندما فكرت في أنها ستراه هذه الليلة، شعرت بقلبها يثب في صدرها.

وفي نفس الوقت، عندما ذهبت بينيلوب، وهي تحتج بأنها لا تريد الذهاب مع أبيها وزوجته إلى القصر، ابتدأت أوديتا تغير ملابسها من الثوب المنزلي البسيط الذي كانت ترتديه، إلى ثوب من الفوال الفضي. وبعد أن أغرقتها إيميلين بكلمات الشكر، نظمت غرفة سيدتها اللايدي، ثم خرجت من السفارة إلى منازل أصدقائها.

وهكذا لم تكن أوديتا خائفة من أن يفاجئها أحد وهي

www.rewayti.net

ترتدي الثوب الفضي وتصفف شعرها على أحدث طراز استطاعته. لقد تذكرت أن الإيرل قد ظن أنها فرنسية، وعندما نظرت إلى نفسها في المرآة، تساءلت عما إذا كان قد خدع حقاً بظنه هذا فيها.

لقد كانت في أحلام اليقظة، قد افترضت أنها أميرة فرنسية، ولكنها الآن وجدت من الحكمة أن لا تغير جنسيتها، أو على الأقل، أن تدعي بأنها سويدية.

كان شعرها أشقر، وبشرتها من البياض والنقاء بحيث لا تشبه بشرة النساء الفرنسيات، ومع أن عينيها كانتا رماديتين وليس زرقاوين، إنما لم يكن فيهما أثر للفرنسية.

ولكنها ما لبثت أن فكرت في أن لا أهمية لكل هذا. فمهما كان نوع تفكير الإيرل فيها، فهما لن يتقابلا بعد هذه الليلة.

وعندما أصبحت هاجزة أخيراً، أخذت الشال الذي يتناسب مع الثوب وهي تفكر في أنها، باستثناء عدم تحلّيها بأية مجوهرات، تبدو مناسبة لقضاء حفلة كحفلة الأمس، أكثر منها لعشاء منفرد لشخصين.

وعندما وضعت في إصبعها خاتم زواج أمها، قالت وكأنها تتخيل أن باستطاعة أمها أن تسمعها: «سامحيني يا ماما، إذا كنت أقوم بعمل خاطىء، ولكن الوجود في باريس هو شيء مثير، وإذا أنا جلست في السفارة وحدي، فكأنني جالسة في بيتي.»

وساورها شعور بأن أمها تسمعها، فعادت تقول: «لا يبدو أن أما أقوم به هو أمر يستوجب التعنيف، لأن الإيرل من أقاربنا، وإذا كان بإمكاني أن أشقيه، ولو

لساعات قليلة، فسأشعر حينئذاك أنه نال ما يستحقه.»

لم تكن واثقة تماماً من أن أمها ستوافقها على هذه الخطة، ومع هذا، كما يحدث حين كانت تتحدث إليها، كانت تشعر بأنها قريبة منها، وأن حبها لها سيمنعها من الوقوع في أيّ أذى.

ثم، بعد تغيّر في المزاج جعل على شفتيها شبه ابتسامة ساخرة، انحنت لصورتها في المرآة وهي تقول بالفرنسية: «هيا، يا مدام. إذهبي وليكن تصرفك سيئاً، وذلك لكي تسببي الألم للإيرل.»

ومرة أخرى، حانت لحظة الخوف لدى الشروع في الهرب من المنزل من دون أن يراها أحد. ولكن أثناء النهار، وجدت أوديتا أن هناك سلماً آخر تستطيع منه أن تخرج إلى الحديقة من دون أن تمر من الردهة الرئيسية.

كانت الشمس قد غربت، ولكن الظلمة لم تكن قد زحفت بعد. وأسرعت أوديتا الخطى متوخية السير تحت الأشجار كيلا يراها أحد من النوافذ، إلى أن وصلت إلى البوابة التي تخرج منها إلى الطريق العام خلف السفارة. وفي هذه اللحظة، شعرت بذعر مفاجيء من أن تجدها مقفلة.

ولكن البوابة كانت على كل حال، مسندة بمزلاجين ثقيلين، وأدركت أنها إذا رفعتهما، فسيصبح فتح الباب من الداخل والخارج، عند عودتها، سهلاً.

ولم يكن أمامها سوى التمني بأن لا يعود خادم إلى إعادة المزلاجين، في غيابها، إلى مكانهما. عندئذ، أصبحت في الطريق العام، حيث أخذت تنظر يمنة ويسرة تفتش عن العربة التي ينبغي أن تكون في انتظارها.

www.rewayti.net

وشعرت بالإرتياح وهي ترى واحدة واقفة، وكانت على مسافة إلى اليسار، وأدركت أن الإيرل لم يدرك الليلة الماضية أنها جاءت من السفارة، اتجهت بسرعة نحو العربة، وعندما وصلت، قفز السائق وفتح لها الباب، فرأت الإيرل جالساً في الداخل.

قال بصوته العميق: «ها إنك قد جئت.» وأدركت هي أنه مسرور لرؤيتها.

وما أن جلست على المقعد المريح، حتى قال: «لقد تصرفت بشكل شعرت معه بما تريدينه مني وهو أن لا يراني أحد أنتظرك عند الرصيف، كما أن ليس بإمكاني التجسس لأرى من أي منزل ستخرجين.»

وشعرت أوديتا بنبرة السخرية تعود إلى صوته. ولكنها، في نفس الوقت، كانت مختلفة عن الطريقة التي تحدث بها معها أول مرة ليلة أمس. فقالت ببساطة: «شكراً.»

قال: «لم أستطع رؤية وجهك ليلة أمس. ولكن بإمكاني أن أرى شكلك الآن دون ذلك القناع.»

ورأت أوديتا أن هذا صحيح، ولكنها أدركت في نفس الوقت أن بإمكانها أن تراه الآن، هي أيضاً.

عندما دخلت العربة، منعها الإرتباك من النظر إليه، ولأنه تملكها الشعور بشكل أقوى من الأول، بمبلغ الصدمة التي سيصاب بها اللورد واللايدي والمر إذا هما علما بما تصنع.

ولكنها الآن رفعت عينيها إلى وجه الإيرل فرأته من دون القناع أفضل منظراً مما كانت تظنه عليه.

وكان على وجهه ذلك الطابع الساخر، بكل تأكيد وكانت عيناه ترمقانها بنظرات نفاذة، بينما، في نفس الوقت، كان

ثمة ما يوحي بشيء من الوقاحة في شخصيته. وفكرت في أنه يبدو شبيهاً بقراصنة البحار.

قال لها: «إنك جميلة جداً. تماماً كما ظننت. كيف وجدت كوكب فينوس عندما عدت إلى بيتك الليلة الماضية، أتراك صعدت إلى ذلك النجم بقوة غامضة؟»

فأجابت: «أعرف أنني تصرفت بشيء من قلة التهذيب لرحيلي الليلة الماضية دون أن... أودعك. ولكن الوقت كان متأخراً جداً. ولم أستطع... البقاء... أكثر من ذلك.»

«لقد هربت مني بمهارة تامة وذلك لكي لا أعلم إلى أين كنت ستذهبين.»

فلم تجب. وإنما حوّلت عينيها عنه وعلى شفتيها شبه ابتسامة.

وتابع الإيرل قائلاً: «لقد ساورني الشك في أنك ستفعلين ذلك. وحيث أنك كنت شديدة الغموض، وجدت ذلك مخيباً للأمل كما أنه مثير للفضول في نفس الوقت.»

ولم يحظ بجواب، وبعد لحظة، عاد يقول:

«أظنك واعية، يا أوديتا، إلى أنك تدفعينني إلى الجنون.»

«أظن ذلك بعيد الإحتمال جداً، يا سيدي، ولكن إذا كان هذا صحيحاً، فعليك أن تعتبر ذلك نتيجة جمال باريس.»

«أتظنين حقاً أنك تبدين باريسية؟ إنني الآن، بعد أن رأيتك من دون قناع، لا أصدق لحظة أنك فرنسية.»

قالت: «إذا كنت ستتصرف معي بشكل غير مهذب، أيها السيد، أظن من الحكمة أن أتناول عشائي في مكان آخر.»

فضحك الإيرل، ثم قال: «أتظنين حقاً أني خائفاً من أنك ربما عدت إلى ذلك الكوكب فوقنا وأنك من غير بني الإنسان؟»

www.rewayti.net

وفكرت أوديتا، وقد تملكها الرضى، بأن هذا ما كانت تريده أن يشعر به بالضبط.

ولكن لم يكن ثمة وقت لمزيد من الكلام، ذلك لأنهما كانا قد وصلا إلى مطعم قائم، كما رأت أوديتا، في ساحة صغيرة.

كان في الخارج عدة موائد وكراسي لا بد أنها كانت تستعمل أثناء النهار، ولكن لم يكن يحتلها أحد الآن. وعندما دخلا، رأت أن المطعم صغير جداً ومؤلف من غرفتين فقط.

كانت هناك أرائك للزبائن، وأزهار على الطاولات وبضعة لوحات على الجدران. ونظرت أوديتا حولها مسرورة. كان بالضبط ما كانت تتصوره عن مظهر المطاعم الفرنسية، ولكنها كانت واثقة تماماً من أنها لم تكن من وفرة الحظ بحيث تأكل في واحد منها.

قال الإيرل: «أريد أن أتحدث إليك. وهذا هو السبب في إحضاري لك إلى هنا.»

قادهما النادل إلى مائدة في زاوية من الغرفة، وعندما جلسا، قال: «هل هناك نوع من الطعام تحبينه بشكل خاص، أم أنك تريدينني أن أختار لك ما تأكلين؟»

فقالت: «أعتقد أن اختيارك سيكون جيداً.»

فأجاب: «حيث أن الفرنسيين متأكدين من رداءة الطعام الإنكليزي، فإنني أعتبر ذلك مجاملة.»

ثم أجرى حديثاً طويلاً مع رئيس النادل، قبل أن يجلس أخيراً وهو ينظر إلى أوديتا باسماً.

كانت تعلم أن عينيه قد استوعبتا جمال ثوبها وغلاء ثمنه. ولم تدهش في الحقيقة عندما قال: «لا حاجة بي إلى أن أخبرك بأنك تبدين مثل النجم الذي أقبلت منه. ولكنني

مندهش قليلاً من أنك، لخلاف النساء الفرنسيات، أهملت أن تتألقي.»

مع أنها أدركت أنه كان يشير بكلامه هذا إلى عدم تحلّيها بعقد، كان في التعبير الذي بدا على وجهه ما جعلها تحمرّ خجلاً، ولكن قبل أن تستطيع الجواب، قال: «ولكن الحق معك، انك جميلة. وسيكون من الخطأ التحلي بالمجوهرات.»

ووجدت أوديتا صعوبة في أن تجد صوتها، ولكنها ما لبثت أن قالت: «لقد جئت إلى هنا، أيها السيد، للإستمتاع بحديثك. فلننس المجاملات التي قررنا ليلة أمس أنها من مميزات الفرنسيين.»

فقال: «ولكن المجاملات هي مخلصة إذا كانت من رجل إنكليزي. وعندما أخبرك بأنك جميلة جداً، وتتألقين كالنجم، فأنا أقول الحقيقة.»

فأشاحت أوديتا بوجهها عنه.

ثم ما لبثت أن حدثت نفسها بأنها إذا كانت حقاً هي الأميرة التي تدعيها، فليس لها أن تتصرف كتلميذة مدرسة مرتبكة لم تسمع كلمة إطراء من قبل.

قالت بعد لحظة: «بما أننا نتكلم الآن بشكل شخصي، فهل أخبرك بأنك، من دون قناع، تبدو بهيئة القرصان.»

فابتسم الإيرل، وقال: «أعتقد أن أحد أجدادي كان قرصاناً شهيراً في عهد الملكة اليزابيت، وربما ما ينبغي عليّ القيام به هو اختطافك، ثم نقلك بعيداً في سفينتي إلى بلد بعيد حيث لا يعثر علينا أحد.»

فأرغمت أوديتا نفسها على ضحكة قصيرة، ثم قالت:

www.rewayti.net

«إنني واثقة يا سيدي من أنك، بعد أن تمر بهجة اختطافي، ستجد نفسك وقد انتابك الضجر من الإقتصار على صديقة واحدة، في حين لا شك أن لديك عدداً منهن في تنقلاتك بين فرنسا وانكلترا.»

«والآن ها أنت ذي جعلتني رجلاً مغروراً، وما دمنا في موضوع الحكايات الخرافية، فإن ساندريلا كانت تركت وراءها حذاءها البلوري، بينما أنا لم أجد أثراً لمنديلك.»

«ولكن لم يكن عليك أن تفتش عني. فأنا هنا. كما وعدتك.»

فالح قائلاً: «أفرضي أنك اختفيت بعد هذه الليلة. فأين أفتش عنك؟»

فأشارت أوديتا بيدها، قائلة: «أسئلة. دوماً هنالك أسئلة. إنني لم أحضر لتناول العشاء، يا سيدي لكي تحقق معي.»

فسألها بغضب: «ولماذا تحرصين على أن تكوني بهذا الغموض؟ إنك تعلمين أنني أريد أن أراك في كل لحظة ممكنة. ولكنك تدخلين الخوف إلى نفسي بهذه المراوغة.»

فقال ببطء: «لديّ شعور بأن الإيرل أوف هاوتون قد حصل في الماضي على كل ما يريده، بسهولة. وسينفعه جداً أن يكون قليل الثقة نوعاً ما، بمبلغ سلطته.»

فقال: «ها انك تتعمدين الاستفزاز. كيف تعرفين أنني حصلت على كل شيء في الحياة؟ ما الذي تعرفينه عني؟»

فأجابت بإخلاص: «لا شيء ما عدا أنه كان يقال لي دوماً ان النبلاء الإنكليز هم ذو أهمية كبرى في بلادهم. قد رأيت من طريقتك في السير، وثقتك في نفسك، بأنك لم تواجه قط كارثة أو هزيمة.»

فقال: «هذا صحيح، وهذا هو السبب، يا أميرتي الصغيرة

الجميلة، في أنني لا أنوي أن أخسر المعركة بالنسبة إليك.»

«وهل يجب أن تكون هناك معركة يا سيدي.»

فأجاب ببطء: «إن لديّ شعوراً مزعجاً بأنك تضحكين مني. كما أشعر أيضاً بأنك لست بالمرأة التي تدعينها. كما أن هناك شيئاً آخر لا أفهمه.»

فشبكت أوديتا يديها، قائلة: «هذا رائع، يا سيدي. فقد جعلتك تتكهن بأمري، وهذا يجعل من الصعب عليك أن تنساني.»

فسألها بحدة: «وما الذي يجعلني أنساك؟»

وسكت لحظة، ثم تابع يقول: «أنظري إلي، يا أوديتا؟ أريد أن أعلم أي هدف خبيث تسعين إليه.»

فرفعت أوديتا حاجبيها: «وما الذي يجعلك تتصور أنني أسعى إلى أيّ هدف خبيث، كما تسميه؟»

«لأنك تتعمدين جعلي قلقاً. أو، إذا كنت تفضلين هذا التعبير، لأنك تخيفينني.»

مرت لحظة صمت، قال بعدها بهدوء: «طلبت منك أن تنظري إليّ.» ولأنه أمرها بذلك، وكذلك لأنها وجدت صعوبة في مقاومته عندما تكلم في ذلك الصوت ذي اللهجة غير العادية، أدارت رأسها ببطء.

ووجدت نفسها تنظر في عينيه اللتين كانتا في مثل زرقة البحر. وأصبح من الصعب عليها أن تحوّل نظراتها بعيداً.

ربما مرت دقيقة واحدة، وربما عدة قرون، قبل أن يقول الإيرل: «عندما تحدثت إليك الليلة الماضية كنت آمل أن أجد في الحفلة شيئاً من التسلية، وإذا بك تعرفين كما أعرف أنه لم يعد مسألة تسلية وإنما شيئاً مختلفاً تماماً.»

www.rewayti.net

«إنني... إنني لا أعرف ماذا تعني.»

فقال: «بل تعرفين، لأن لديك نفس شعوري. لقد تقابلنا، يا أوديتا، ولم يكن هذا مجرد لقاء غرباء، وإنما لقاء شخصين جمعتهما الصدفة.»

وجعلتها طريقة كلامه ترتجف. كما أنها شعرت وكأنه نومها تنويماً مغناطيسياً، وساورها شعور بأنه لم يعد هناك شيء في العالم ما عد عينيه.

وفجأة، وبجهد بشري خارق، تمالكت نفسها وقالت بصوت لم يبد كصوتها: «إنك... تخيفني.»

«بأي شكل؟»

«إنك حولت شيئاً كنا قمنا به على سبيل التسلية، إلى شيء آخر... شيء جدّي و... مدمّر.»

فقال: «إنه الواقع. ولا يمكنك النجاة، يا أوديتا، أكثر مما يمكنني أنا.»

فحاولت أن تقول إن هذا ليس صحيحاً، ولكن الكلمات التصقت في حلقها.

وأسرعت بهما الساعات دون وعي منها تقريباً. وبينما كانت تتحدث إلى الإيرل، أو تحاول أن تتجنب شكوكه، كانت تشعر طوال الوقت وكأنهما يتحدثان إلى بعضهما البعض دون كلمات. ولم تكن هناك حاجة لقول أيّ شيء.

وعندما دفع الإيرل الحساب وخرجا إلى حيث كانت العربة بانتظارهما، ظنت أن السهرة انتهت وأن عليها أن تتركه، وأنهما لن يجتمعا مرة أخرى. ولكنها، في الوقت نفسه، أرادت أن تبقى مدة أطول.

شاءت أن تغيّر ما لا مناص منه، رغم علمها بأن لا فائدة

من ذلك. وعندما ابتعدا عن المطعم، لم يتكلم الإيرل، وإنما جلس فقط في زاوية العربة. وعندما أنارت أضواء الشارع وجهه، لاحظت أوديتا أن وجهه يبدو رصيناً وعلى شيء من العبوس.

حاولت أن تفكر في شيء تقوله. في شيء يتذكره بعد انفصالهما، ولكن ذهنها كان مغلقاً، وكل ما كانت تدركه، ذلك الإحساس في داخلها.

ثم، ما أن أدركت أنهما لا بد الآن قد وصلا إلى الطريق الواقع خلف السفارة، حتى رأت الجياد تتابع الصعود إلى شارع تشامبس إليزيه.

نظرت إلى الإيرل مستفهمة، ثم تكلمت لأول مرة منذ تركا المطعم: «إلى أين نحن ذاهبان؟»

فأجاب: «هناك شيء أريدك أن تريه.» ثم ساد الصمت مرة أخرى.

تابعوا الطريق، وعندما توقفت الجياد أخيراً، أدركت أوديتا أنهما كانا في الغابة. كان هناك أشجار على جانبي الطريق، ونزل الخادم ليفتح باب العربة، فنزل الايرل ولحقته اوديتا في طريق ضيق.

تابعا السير إلى أن انعطف بهما الطريق، وهناك، أمامها، كان يوجد شلال يتساقط بصوت موسيقي ليكوّن بحيرة مليئة بزنابق المياه وتحف بها الأزهار.

كان ضوء القمر في البحيرة بالغ الروعة، وحيث أن الضوء كان ينصبّ من أعلى، رفعت أوديتا رأسها إلى السماء لتنظر إلى القمر الذي كانت تحفّ به النجوم.

شعرت بدفء يتصاعد في جسدها، وبمشاعر لم تعرفها

www.rewayti.net

من قبل. وأدركت أن مثل هذا الموقف هو ما كانت تحن إليه وتريده، ليس فقط منذ قابلت الإيرل، ولكن قبل ذلك بكثير عندما جسّد الأمير، في حكاياتها الخرافية، الحب الذي كانت تفتش عنه، ولكنها كانت تظن أنها لن تجده أبداً.

والآن، إنه الحب الذي جعل قلبها يخفق بعنف. الحب الذي ملأ الليل وجعلها تشعر وكأنهما يطيران نحو القمر.

وشعرت فجأة بالخوف. وعندما نظر إليها الإيرل، قال: «إنك رائعة الجمال. ولكن ما أشعر به نحوك هو أكثر كثيراً من مجرد الإفتتان بجمالك. إنك حبي ولا أتحمل مطلقاً أن أفقدك.»

بعد ذلك بمدة كانا يعودان من الطريق التي أقبلا منها.

وعندما توقفت الجياد في نفس المكان الذي كان الإيرل انتظر أوديتا فيه، تحركت أوديتا.

قال: «لا أستطيع أن أتحمل تركك لي. متى سنجتمع مرة أخرى؟»

عند ذلك فقط، استيقظت أوديتا على الواقع، لتدرك أنها منذ العشاء، قد نسيت كل شيء. نسيت من تكون، وما هو هدفها وإلى أين عليها أن تعود. ودار رأسها لحظة، وشعرت بنفسها تهيم في الفضاء بين النجوم حتى أصبح من الصعب عليها النزول إلى الأرض والتفكير بوضوح متقطع! «يجب... أن... أذهب.»

فقال: «إنني متفهم لذلك، يا غاليتي. ولكن قبل ذلك، يجب أن تخبريني متى أستطيع رؤيتك مرة أخرى. هل تتناولين الغداء معي غداً؟»

لقد جعل هذا السؤال، رغم بساطته، أوديتا تنتبه إلى هذا الوضع الصعب المعقد الذي وقعت في حبائله.

هزت رأسها نفياً، فقال: «إذن، تتناولين العشاء معي مرة أخرى. يجب أن أتحدث إليك يا أوديتا. إنك تعلمين ذلك.»

ثم تابع يقول وكأنه يجيب عن سؤال لها: «إنه عن مستقبلنا... مستقبلنا معاً.»

فقالت بسرعة: «ليس ثمة وقت... الآن.»

فقال: «نعم، أعلم ذلك. عليك أن تذهبي الآن. لا أريدك أن تقعي في المشاكل لأجلي. ليس حالياً. ليس قبل أن نتبادل الحديث معاً.»

فأخذت عينا أوديتا تفتشان عن عينيه في عتمة العربة، ثم قالت برقة: «ال... الوداع.»

فقال: «دعينا نقل بالفرنسية إلى اللقاء يا نجمي الصغير الرائع. فكري بي. إحلمي بي إلى أن نجتمع ثانياً.»

فقالت: «إلى اللقاء.» ولم تستطع منع صوتها من التهدج.

ثم إذا بباب العربة يفتح، لتسير وحدها في الطريق، ببطء أولاً، ثم بسرعة إلى أن أخذت تركض.

وصلت إلى باب حديقة السفارة، وفتحته بسهولة، ثم دخلت وأعادت المزلاجين تقفل بهما البوابة.

وإذ كانت تقوم بهذا العمل، كانت تفكر في أنها تضع أيضاً مزلاجاً تقفل به باب الحب الذي فقدته.

* * *

إستيقظت أوديتا في الصباح التالي، بعد ليلة لم تعرف فيها النوم، وهي تحدث نفسها بأنها، إذا هي تألمت، فسيكون الذنب في ذلك ذنبها كلياً، وليس في استطاعتها عمل شيء.

www.rewayti.net

لقد كانت أزاحت ستائر النافذة، بعد أن انتابها الأرق، وذلك لتحدّق إلى القمر وهي تعلم أن الإيرل قد أصبح بعيداً عن حياتها بقدر بعد هذه النجوم. وإذا هي تركته فليس لها أن تلوم سوى نفسها.

تذكرت ما كانت تقوله مربيتها لها عندما كانت صغيرة إذا أنت لعبت بالنار، فستحترقين. وهذا ما فعلته هي بالضبط.

لقد لعبت بالنار، لتجد نفسها مع رجل أكثر تسلطاً من أبطال أحلامها. فبينما كانت تهدف إلى جعله يتألم، كل ما فعلته هو أنها عذبت نفسها.

صرخت وهي تدفن وجهها في الوسادة، إني أحبه. إني أحبه. وأدركت مبلغ غبائها وهي تدع إحدى حكاياتها الخرافية تصبح حقيقة.

كانت تعلم أن ليس هناك شيء يمكنها عمله. وستشعر بالمذلة في حال علم الايرل أنها ليست أميرة هبطت عليه كالنجم، ولكنها فتاة عادية من عامة الشعب، قامت بدور كاذب وأدلت بحديث كاذب وفي النهاية سلمته قلبها بادعاء زائف. كيف بإمكانه أن يصفح عنها لسلوكها هذا؟

لم تكن تستطيع أن ترى شيئاً أكثر إذلالاً لها من التعبير الحافل بالسخرية والإزدراء الذي سيبدو على وجهه، وسماعها مرة أخرى يكلمها بلهجة تهكمية ساخرة كما فعل في البداية.

عندما علقت الثوب الفضي الرائع في خزانتها، كانت تدرك أن المسرحية قد انتهت وأصبح من الصعب عليها بعد الآن أن تقوم بهذا الدور مرة أخرى.

لم يكن هناك المزيد من القول ولا المزيد من العمل سوى أن ترخي الستائر ثم تعود إلى نفسها...

ولكنها كانت تدرك بأنها، إذا شاءت أن تبرهن على حبها، فإن عليها أن تختفي... ليس لكي تسبب له الألم بتركه شقياً محبطاً، كما كان هدفها في البداية، ولكن، لأنها أحبته، لم تعد تحتمل رؤيته صاحياً من هذا الوهم.

فهذا سيكون أسوأ من أي شيء آخر.

إنه الآن سيفكر فيها كأميرة، كإمرأة متزوجة قد أحبها مرة خلال فترة قصيرة. إنها ستبقى في ذهنه إمرأة رائعة الجمال، فاتنة كذلك النجم الذي شبهها به.

أما أن يعلم أنه كان مخدوعاً بفتاة إنكليزية لا تمتاز بشيء سوى بالقدرة على الكذب، فهذا أمر مختلف تماماً.

وإذا هو أدرك ذاك، فهي واثقة من أنه ليس وحده الذي سيصحو من وهمه هذا، بل هي أيضاً.

وأدركت أنها لن تسمع بعد الآن موسيقى الفالس أو تسير في حديقة، أو تتأمل النجوم دون أن تشعر بقلبها ينادي الإيرل رغم أنه لن يسمعه بتاتاً.

وواجهت حقيقة أنها لن تشعر بمثل هذا الحب نحو أي رجل آخر. هذا سيكون محالاً. والأكثر من هذا، اذا حدث وتزوجت، وهذا غير محتمل، فزوجها لن يكون بالنسبة إليها كذلك الرجل الذي خرج من أحلامها لكي يتملك قلبها.

كان حبها من الروعة والبهجة بحيث لم تستطع أن تبكي فقدانها له، فقد كانت تشعر، بشكل ما، أنها كانت محظوظة ومتميّزة عن غيرها بالوقوع في حب غير عادي مثل هذا.

وقالت تحدث نفسها، يمكنني أن أعود الآن إلى بيتي

www.rewayti.net

دون أيّ ندم. لقد منحتني باريس كل ما كنت أتوقعه وأكثر كثيراً.

وعندما بدلت ثيابها، وقفت عند النافذة تحدق في أشعة الشمس، وهي تحدث نفسها بأن عليها ألا تندم أبداً لما حدث.

ولكنها، مع هذا، كانت تحس بألم في قلبها لأن النهار قد ابتدأ دون أن يكون لها حظ في رؤية الإيرل.

إنه سينتظرها عبثاً، وفي النهاية، سيقفل راجعاً.

وكانت تحدث نفسها، إنه سينسى... إنه سينسى طبعاً. ولكنني سأظل أتذكره حتى آخر العمر. إنه سيملأ أحلامي، ولكن لن تكون هناك نهاية سعيدة لهذا الحب.

وكانت لا تزال واقفة عند النافذة، عندما فتح الباب خلفها بعنف، فاستدارت بسرعة.

كانت بينيلوب في قميص النوم وشعرها منسدل على كتفيها، وعيناها تلتمعان وعلى وجهها تبدو لهفة لم ترها أوديتا على وجهها منذ غادروا انكلترا.

فسألتها: «ما الأمر؟»

فأغلقت بينيلوب الباب خلفها، ثم ركضت إلى جانب أوديتا، وقالت: «ماذا تظنين يا أوديتا؟ آه، ماذا تظنين؟ إن سيمون في باريس.»

فهتفت أوديتا: «سيمون؟ ولكن لماذا؟ وكيف علمت؟»

«لقد ترك لي رسالة أحضرتها إحدى الخادمات قائلة إن سيداً سلمها لها عند الباب مصراً على إيقاظي وتسليمي إياها حالاً وذلك نظراً لأهميتها.»

وتأوهت بسرور وهي تتابع: «كانت هذه مهارة منه لأنه

كان يعلم أن زوجة أبي ستكون نائمة الآن وأنني لم أنزل لتناول الإفطار بعد.»

فسألتها: «ولماذا جاء سيمون إلى باريس.»

فأجابت وهي تفتح الرسالة: «إنه يقول إن لديه خبراً بغاية الأهمية سيخبرني به. قال إنه يجب أن يراني وسيعود لأخذ الجواب بعد نصف ساعة.»

ونظرت إلى ساعة الحائط. وتابعت: «وهذا يعني أنه سيكون هنا في الساعة الثامنة، قبل نزولنا إلى غرفة الإفطار. آه يا أوديتا، أين يمكننا أن نراه؟»

فقالت أوديتا بسرعة: «من الصعب عليك أن تذهبي إلى أي مكان بمفردك.»

فأجابت بينيلوب: «أعلم هذا. ولكنك ستأتين معي. يمكننا أن نقول إننا ذاهبتان لقياس أثوابي عند وورث.»

فقالت أوديتا: «نعم، طبعاً. ولكن علينا أن نذهب إلى هناك في عربة.»

وكانت أثناء كلامها هذا تفكر في أنها لا تثق في أن لا تخبر الخادمات، واحدة منهن الأخرى، بأنها وبينيلوب، قد قابلتا رجلاً. وقد يصل الكلام إلى إيميلين فتحدث به اللايدي والمر.

كما أنهن قد يخبرن بذلك السيد شيفيلد الذي سيجد من واجبه أن يخبر به والد بينيلوب.

وقالت بينيلوب بإصرار: «أريد أن أراه يجب أن أراه.»

فأجابت أوديتا برقة: «نعم يا عزيزتي، ولكن علينا أن نكون على حذر. فإذا علم أبوك بأن سيمون في باريس، فقد

www.rewayti.net

يجد رغبته في رؤيتك أمراً غريباً جداً، وأنا واثقة من أن زوجة أبيك لن ترضى بذلك.»

فقالت بينيلوب غاضبة: «إنها لا ترضى عن أيّ شيء. أرجوك يا أوديتا، فكري في ما علينا أن نفعل.»

وفكرت أوديتا في الغابة.

فقالت: «سنسأل إن كان بإمكاننا أن نذهب لقياس الثوب عند وورث، وهذا طبعاً تعرف زوجة أبيك أن علينا أن نقوم به. ثم نبقى وقتاً قصيراً فقط في شارع دي لابيه. وحيث أن الوقت سيكون مبكراً، فسنطلب من الحوذي أن يأخذنا للنزهة في الغابة.»

فلمعت عينا بينيلوب، وهتفت: «طبعاً، لا أحد سيرانا هناك. ولكن أين يمكننا أن نخبر سيمون بأن يوافينا؟»

فأجابت أوديتا: «هناك حوض للأسماك، ولا أظن أن الحوذي سيستغرب زيارتنا له للتفرج عليه.»

فأخذت بينيلوب تصفق بيديها: «يا لك من ذكية ماهرة. إنني سأخبره بأن ينتظرنا في الداخل.»

وتحولت إلى مكتب صغير في زاوية غرفة أوديتا. فأحضرت ورقة من دفتر للكتابة عليه ختم السفارة البريطانية وكتبت رسالة بسرعة. وعندما انتهت، سألتها أوديتا: «أي خادمة سلمتك الرسالة؟»

«إنها فتاة صغيرة تدعى جين.»

فقالت أوديتا: «آه، نعم لقد عرفتها. أظن أن سيمون قد قدم لها رشوة وربما علينا أن نفعل نفس الشيء.»

فسألتها بينيلوب: «كم يجب أن أعطيها؟»

فأجابت أوديتا: «ليس كثيراً. فقد تتباهى بها بين الأخريات.»

وأخيراً اتفقتا على أن فرنكين هو مبلغ مناسب، ثم قرعت أوديتا الجرس.

وكما توقعت، فقد أجابت جين.

فقالت لها أوديتا: «علمت يا جين أنك كنت لطيفة جداً باحضارك رسالة بينيلوب. وهنالك شخص سيعود بعد فترة قصيرة ليأخذ الجواب. فهل لك أن تسلمي هذه لذلك السيد؟ وهذه هبة صغيرة مقابل إزعاجك.»

فقال الخادمة بسرور: «شكراً كثيراً يا آنسة.»

فتابعت أوديتا: «إسمعي يا جين، قد تكون هنالك رسائل أخرى للآنسة، وسأكون شاكرة لك جداً إذا أنت لم تتحدثي عن ذلك لأحد، وأنك نقلت لها الرسائل.»

«كلا كلا، أعدك بأن لا اتفوه بكلمة لأحد.»

ومنحتهما ابتسامة متفهمة جداً، وعندما خرجت من الغرفة، ضحكت أوديتا وهي تقول: «دوماً كنت أسمع أنهم في فرنسا، يعذرون الحب.»

كانت تتكلم وهي تشعر بالرغبة، في أن تضيف قائلة، وكذلك الرجال الإنكليز يعذرونه، أيضاً.

ولكنها كانت تعلم أن هذا شيء عليها أن تنساه.

www.rewity.com
hinda70

www.rewayti.net

الفصل الخامس

عندما وصلت العربة إلى الغابة، وجدت أوديتا نفسها وقد سحقتها ذكريات ما حدث الليلة الماضية.

لقد تصورت نفسها، للحظة، سائرة تحت الأشجار والإيرل إلى جانبها، وعندما وصلا إلى الشلال... أرغمت نفسها على التوقف عن التفكير، فالتفتت تقول لبينيلوب: «يا له... من يوم... جميل، كما أن الغابة جميلة للغاية.»

ولكنها رأت أن بينيلوب لم تكن تستمع إليها، فأدركت أن الشخص المغرم لا يمكن أن يفكر بغير حبيبه.

وقفوا خارج حوض الأسماك، ولأن بينيلوب كانت مسرعة، فقد قفزت من العربة، فوضعت أوديتا يدها على ذراعها تحذّرها. عبرتا المدخل، لتجدا نفسيهما في ممر فسيح تغمره الظلال.

وبلمحة سريعة، رأت أوديتا سلسلة من الصور أسبغ عليها الضوء الأزرق جمالاً خلاباً.

وفي اللحظة التالية، سمعت بينيلوب تصرخ حين خرج رجل من الظلال متجهاً نحوهما. وكان سيمون جونسون.

لم تكن أوديتا قد رأته من قبل بغير ملابسه القروية. فرأته الآن كم يبدو مختلفاً وأكثر لياقة. ولكن بالنسبة إلى بينيلوب، لم يكن ثمة شك في أن كل ما يهمها هو انه هنا الآن. فهتفت قائلة: «هل أنت حقاً هنا، يا سيمون؟ لشد ما كنت بشوق إلى رؤيتك.»

فقال بصوت بالغ العمق والإخلاص: «وأنا أيضاً كنت مشتاقاً لرؤيتك.»

فسألته بينيلوب: «ولكن لماذا؟ لماذا أنت هنا؟.»

وكأنما انتبه سيمون إلى أنهما انشغل الواحد منهما بالآخر، فقد استدار مادّاً يده إلى أوديتا مصافحاً وهو يقول: «شكراً لك لحضورك مع بينيلوب، إنني واثق من أنه أنت التي فكرت في حوض الأسماك هذا.»

فابتسمت أوديتا: «هذا صحيح. ويبدو أنه مكان مناسب جداً للإختفاء.»

فنظر سيمون حوله وقال: «فلنذهب إلى مكان آخر لا يوجد فيه الكثير من الناس. فإن لدي شيئاً مهماً أريد أن أخبر به بينيلوب.»

فسارت بينيلوب بجانبه في الممر، بينما نظرت أوديتا تفضول إلى الفجوات الصغيرة التي كانت حفرت داخل الجدار.

لم تكن قد شاهدت من قبل حوض الأسماك. وسلب منها لب رؤية الرمال التي تفرش قاع كل حوض سمك. والنباتات والصخور.

وصلوا إلى نهاية الممر حيث كان يوجد مقعد خشبي للزائرين، والذي كان خالياً لحسن الحظ.

جلس سيمون وبينيلوب، وكانت أوديتا على وشك الجلوس معهما عندما خطر ببالها أن ذلك غير مناسب. فسألتهما: «هل أترككما؟ إنني مسرورة تماماً بالتفرج على الأسماك.»

وتحولت لتبتعد عنهما، ولكن سيمون قال بسرعة: «بل

www.rewayti.net

إمكثي معنا، أرجوك، أشعر بأننا قد نحتاج إلى عونك.»

فجلس أوديتا وقد تملكها الفضول لما سيقوله.

سألته بينيلوب بسرعة: «هل هناك أمر سيء؟»

فأجاب: «كلا، يا عزيزتي. لقد جئت إلى هنا لأطلب منك الزواج بأسرع ما يمكن.»

فصدرت عن بينيلوب صرخة، متقطعة، فعاد يقول: «كنت تعلمين قبل قدومك إلى هنا أنني أريد أن أتزوجك. ولكن كان من الصعب أن نعلم كيف يمكننا القيام بذلك، إذ لو أننا هربنا، فكيف سنعيش؟ والآن، لقد تغيّر كل هذا.»

فسألته بينيلوب: «وكيف؟»

فأجاب: «لقد توفي عمي. وهو لم يتزوج قط. وقد كان غنياً نسبياً.»

وابتسم وهو يتابع قائلاً: «ربما ليس بمستوى ثراء أبيك، ولكن بما أنه لم يتزوج، فقد ترك لي منزله وأملاكاً في هانتغودشاير حيث لديه هناك مزرعة واسعة.»

ونظر في عيني بينيلوب اللتين كانتا تنظران إليه بحب دافق، ثم سألها: «هل ترضين بأن تكوني زوجة مزارع؟»

فصرخت: «إنك تعلم أن هذا يرضيني، آه، يا سيمون. هل يعني هذا أن بإمكاننا أن نتزوج حقاً؟»

«حسب رأيي، سأتزوجك اليوم أو غداً، وبهذا يمكنك أن تساعديني في استلام أملاكي الجديدة والشروع في الإشراف على المزرعة، وهذا سيكون شيئاً سارّاً جداً بالنسبة إليّ.»

فهتفت بينيلوب تقول: «ولي أنا أيضاً، آه، يا سيمون. هل تظن أن أبي سيسمح لي بالزواج منك الآن؟»

فقال: «هذا شيء أريد أن أتحدث معه بشأنه اليوم.»

فهتفت بينيلوب: «اليوم؟»

وكذلك أوديتا بدت عليها الدهشة.

فقال سيمون: «لا أرى ثمة فائدة من الإنتظار.»

فسألته بصوت منخفض: «وإذا هو رفض؟»

«إذن فسأطلب منك أن تهربي معي إذا كنت تحبينني حقاً.»

ورأت أوديتا من التعبير الذي بدا على وجه سيمون مبلغ أهمية بينيلوب بالنسبة إليه.

وبعد سكوت قصير جداً، قالت بينيلوب: «نعم، طبعاً، سأفعل كل ما تريده. إنني أحبك... ولن أكون سعيدة مع... أي رجل غيرك.»

فقال: «هذا ما كنت أرجوه اتمناه.»

وعندما استمر يحدق كل منهما في عيني الآخر، وقد نسيا كل ما حولهما، نهضت أوديتا متجهة نحو حوض الأسماك تشغل نفسها بالتفرج عليها.

ومضى ما يقرب من نصف الساعة قبل أن تراهما أوديتا يلوّحان لها، فسارت إليهما.

قالت لها بينيلوب بانفعال: «ساعدينا يا أوديتا يجب أن تساعدينا.»

فأجابت أوديتا: «سأفعل ذلك طبعاً. ولكن ربما سيوافق أبوك على زواجك من سيمون فلا يعود هناك صعوبة.»

فأجابت بينيلوب: «أرجو ذلك.»

لم تكن تبدو واثقة تماماً من ذلك، وكانت أوديتا متأكدة من أن سيمون، مهما كان ما يملكه الآن، فإن اللورد والمرلن

www.rewayti.net

يجده مناسباً للزواج من ابنته الوحيدة على كل حال، لم يكن ثمة فائدة من توقع الأسوأ، وبينما أخذا يتحدثان، مكررين التفاصيل، حاولت أوديتا أن تكون متفائلة فتعطيهم الأمل.

سأل سيمون أوديتا: «متى تظنين أن من المناسب أن أتحدث مع سيادته؟»

فأجابت: «لا أدري بالضبط طبيعة عمله، ولكنه عندما أنهى طعام الإفطار أخذ حقيبة أوراقه التي كانت على كرسي، وأيضاً كومة من الأوراق معها.»

«قد يدل هذا على أنه يقوم بعمله من السفارة.»

فصرخت بينيلوب: «دعنا نعد إذن. فلنعد حالاً. فأنا لا أستطيع الإنتظار ساعات إلى أن نعرف ما سيقوله أبي.»

فقال سيمون: «أظن من الحكمة أن أذهب إليه وحدي وليس معك. إن ما أراه هو أن تدعيني أذهب على الفور. ان لدي عربة في انتظاري وسأذهب إليه مباشرة، وعندما تصلين أنت إلى السفارة، فإذا كان سيادته هناك، كما أرجو، فسأكون معه دون شك وستنضمين أنت إلينا.»

وسكت قليلاً، ثم تابع يقول: «ومن ناحية أخرى، إذا كنت أنا قد غادرت، فمعنى هذا أنه رفضني. وهذا يعني أن علينا أن نتدبر أمر اجتماعنا القادم.»

فقالت بينيلوب: «آه، يا سيمون سأتمنى من كل قلبي لكي يقبل أبي.»

فنظر سيمون إلى أوديتا، قائلاً: «أنظنين أنه سيكون لي الحظ في ذلك، يا آنسة شارلوود؟»

فترددت أوديتا. كانت تريد أن تشجعه، ولكنها في نفس الوقت كانت ترى أن من الأفضل له أن يعلم حقيقة تفكيرها.

وعلى كل حال، لم تكن هناك حاجة للكلمات، لأن سيمون علم من التعبير الذي بدا على وجهها، وما كانت تفكر فيه حقاً، فقال بسرعة: «حسناً جداً. سنضع خطتنا، وهذا ما أريده منكما أنتما الاثنتين، أن تقوما به...»

وجدت أوديتا أنه كان قد سبق وخطط كل شيء في ذهنه، وفكرت في أن الإرث غير المتوقع الذي آل إليه، قد منحه عزماً لم يكن لديه من قبل، أو ربما جعل له الحب هدفاً لم يكن يريد أن يفقده.

وعندما تركهما، أخذت بينيلوب تتابعه ببصرها وهو يسير بحزم إلى نهاية الممر، وعندما غاب عن الأعين، التفتت إلى أوديتا وهي تهتف ضارعة: «آه، يا أوديتا، ساعديني. إنني أحبه ولا أستطيع أن أخسره.»

فأجابت أوديتا: «لا أظنك ستخسرينه مهما حدث.»

«إنني واثقة من أن أبي لن يقبل به صهراً. وكذلك زوجة أبي بالغة الغطرسة وستدير وجهها عن أسرة جونسون.»

فقالت أوديتا: «إذا حدث ذلك، عليك إذن أن تكوني بالغة الشجاعة وتفعلي ما يقترحه سيمون.»

كانت تعلم أن أكثر الناس سيرون من القبيح منها أن تشجع بينيلوب على الهرب مع رجل، خاصة الرجل الذي اعتبره أبوها غير مناسب لها اجتماعياً.

ولكن، حيث انها كانت تعرف بينيلوب جيداً، فقد كانت واثقة من أنها لن تكون سعيدة مع أيّ رجل لا تحبه، ومهما كانت ظنون اللايدي والمر، فلن يكون سهلاً أن تجد لها زوجاً.

وفوق ذلك، ككل الناس الذين هم على شيء من البساطة،

www.rewayti.net

بإمكان بينيلوب أن تكون بالغة العناد، فإذا لم يسمح لها بالزواج من سيمون، فقد كانت أوديتا واثقة من أنها ستتصرف نحو كل خاطب بشكل ينفره منها.

أكثر من هذا، فسيكون الأمر صعباً، حتى بالنسبة إلى اللايدي والمر، أن تجد لها خطيباً، حيث أن بينيلوب لا يميزها جمال ولا ثروة واسعة أو موهبة مرموقة، هذا إلى كرهها للمجتمعات.

وحدثت أوديتا نفسها بحزم أن بينيلوب ستكون سعيدة مع سيمون. وهي ستساعدها بكل قواها مهما كانت نتيجة ذلك سيئة بالنسبة إليها.

وعادت إلى السفارة مع بينيلوب التي كانت من شدة القلق بحيث لم تستطع أن تلتزم الهدوء.

قالت لها أوديتا: «إذا رفض أبوك هذا الزواج، فإنك ستجعلين الأمر أسوأ إذا ثرت وغضبت. فأرجوك يا بينيلوب، ليكن كلامك قليلاً قدر الامكان.»

فسألتها بينيلوب: «ولماذا يتزوج أبي من يشاء، بينما أنا غير مسموح لي بذلك؟ إنني سأتزوج سيمون سأتزوجه.»

فقالت أوديتا بهدوء: «إنك ستتزوجينه. ولكن إذا تطورت الأمور إلى حد اخترت معه الهرب، فإن أباك سيجعل الأمر صعباً عليك إذا أنت أظهرت التمرد والغضب الشديد.»

وجعل هذا التهديد بينيلوب تتمالك نفسها، رغم أنها كانت شديدة الشحوب. وعندما وصلتا إلى السفارة، نزلت من العربة بشيء من الإعتزاز.

دخلتا الردهة، وحيث أن أوديتا أدركت أن من الصعب

على بينيلوب أن تتكلم، سألت: «هل اللورد والمر هنا؟»

فأجاب الخادم: «نعم يا آنسة. إن سيادته في الردهة.»

نظرت أوديتا إلى بينيلوب فرأتها متمالكة نفسها تماماً، فعادت تسأل الخادم: «وهل سيادته بمفرده؟»

«كان هناك سيد معه، ولكنني أظنه خرج.»

فصدرت عن بينيلوب تمتمة خافتة، فأمسكت أوديتا بيدها بسرعة وسحبتها نحو الردهة.

فتح الخادم الباب فدخلتا لتجدا اللورد جالساً خلف مكتب وأمامه كومة من الأوراق.

رفع نظراته، وعندما رأى ابنته، نهض واقفاً وهو يقول: «كنت على وشك الإرسال إليك، يا بينيلوب. فإن لديّ ما سأحدثك عنه.»

دفعت أوديتا الفتاة أمامها، فتقدمت هذه إلى أبيها بينما تأخرت هي إلى الخلف.

ومشى اللورد نحو المدفأة، ثم وقف وظهره إليها. وعندما وصلت بينيلوب إلى منتصف الغرفة، وقفت تحدّق في أبيها. وقد شبكت أصابعها ببعضها.

تنحنح اللورد، ثم قال: «حيث انك تعرفين دون شك، شاباً يسمى سيمون جونسون، وهو نجل مزارع من جيراننا في الوطن، قد زارني الآن طالباً يدك للزواج.»

وسمعت أوديتا بينيلوب تسحب نفساً ثقيلاً، ولكنها لم تتكلم. وبعد لحظة، تابع اللورد يقول: «لقد أخبرته بحزم، حتى لا يعود هناك سوء تفاهم، أنني أعتبر طلبه هذا وقاحة. وأنني لن أرضى لك، مهما كانت الظروف، بالزواج من رجل أدنى من مكانتنا الإجتماعية. وقد أوضحت له، كما أوضح لك

www.rewayti.net

الآن، أنه ممنوع عليكما رؤية الواحد منكما للآخر.»

وقبل أن ينتهي اللورد والمر جملته، صدرت عن بينيلوب صرخة صغيرة كتلك التي تصدر عن حيوان صغير سقط في الفخ. ثم استدارت راكضة نحو الباب مجتازة أوديتا، ففتحته واندفعت خارجة، بينما سمعا هما صوت وقع خطواتها نحو السلالم.

ونظر اللورد والمر إلى أوديتا عابساً، ثم سألها: «أظنك كنت تعلمين أنها كانت تلتقي بذلك الشاب.»

«لم أكن أعلم بذلك إلا قبيل مغادرتنا انكلترا، يا سيدي اللورد.»

«هل لك، من فضلك، بالإهتمام بأن لا يكون بينهما أي اتصال بعد الآن؟ إنني لا أرغب مطلقاً في علاقة تجمع ابنتي بشاب من هذا النوع. وعندما نعود إلى الوطن سأهتم بالأمر لكي لا يحدث هذا مرة أخرى.»

فلم تجب أوديتا، وتابع هو بحدة: «إنك ستنفذين أوامري. وأكثر من هذا، إن عليك أن تحتجزي أية رسالة يرسلها سيمون إليها، أو ترسلها هي إليه.»

فانحنت أوديتا باحترام، ولكنها لم تجبه بشيء. وعندما استدارت نحو الباب، سمعته يصيح حانقاً: «لا أدري ما حدث للعالم حتى أصبح فلاح حديث النعمة يظن أن بإمكانه أن يتزوج من أحد افراد أسرتي.»

وأغلقت أوديتا الباب بهدوء، ثم ركضت نحو غرفة بينيلوب. كانت في سريرها ترتجف وقد بدت بالغة الشحوب. وعندما اقتربت منها أوديتا، وضعت ذراعيها حول عنقها ثم انفجرت بالبكاء.

فقالت أوديتا: «لا تبكي. فقد كنت تعلمين أن أباك لن يوافق على هذا الزواج.»

«إنه سيحاول... أن يمنعنا عما قد... يقوم به سيمون.»

فقالت أوديتا: «إنني واثقة من ذلك. وهذا هو السبب في أن علينا أن نتصرف بسرعة. هل أنت مستعدة، كما كنت قلت، لأن تتزوجي سيمون دون موافقة، والدك؟»

فغالبت بينيلوب دموعها، وهي تقول: «إنك تعلمين بأنني... سأفعل ذلك. وإنما يخيفني نوعاً ما، أن أترك أبي. وكنت دوماً أظن أنه... يحبني.»

فقالت أوديتا: «إنني واثقة من أنه يحبك. كل ما في الأمر هو أنه بالغ الكبرياء، وهو، ككل الأباء، يريد لابنته الأفضل.»

فقالت بعنف: «إن سيمون هو الأفضل.»

فقالت أوديتا: «نعم. إنه كذلك.»

ومسحت بينيلوب دموعها، ثم قالت: «أخبريه، أخبري سيمون حالاً، يا أوديتا، بأنني سأتزوجه وأظن الأفضل أن نقوم بذلك بسرعة.»

فقالت أوديتا: «هذا ما كانت أفكر فيه بالضبط ربما كنت أنا على خطأ، ولكن لدي فكرة هي أن والدك سيصر على أن يحضر إمرأة أكبر مني سناً لتكون مرافقة لك في رواحك ومجيئك.»

فصرخت بينيلوب برعب: «هل سيفعل ذلك كيلا أرى سيمون؟ آه يا أوديتا. أخبري سيمون بأن علينا أن نهرب الآن... اليوم.»

«هل أنت واثقة تماماً من أن هذا ما تريدينه؟»

www.rewayti.net

فأومأت بينيلوب برأسها، وكانت تبتسم الآن، ثم قالت «واثقة تماماً... تماماً.»

وبعد ذلك، أخذت أوديتا تتساءل ما الذي جعل الأمور تحدث بهذه السهولة.

لقد تدبرا الأمر بحيث تأخذ جين رسالة إلى سيمون الذي كان في انتظار ذلك.

كانت خطته التي كان حدثهما عنها في الحديقة، قد سارت في طريقها بكل يسر. ولم تكن هناك صعوبات ولا عقبات في آخر لحظة تمنعهما من الزواج.

لقد كان سيمون قد اكتشف، حال وصوله إلى باريس، أن من السهل عليهما الزواج ما دام بإمكانهما أن يقدما ما يضمن أنهما في سن الرشد. كما أنه علم أيضاً أن هناك محامين غير نزيهين يتسكعون دوماً حول مكاتب الزواج على استعداد لإعطاء وثائق ميلادية بدلا عن ضائع حسب قول أصحابها، وذلك لقاء مبلغ سخي أجرة خدماتهم.

وهكذا أبرزت بينيلوب أمام موظف المكتب شهادة ميلاد تنبىء عن أنها في الواحدة والعشرين. وأخذت أوديتا تنظر كيف جمعتهما كلمات قليلة، معاً وبعد ذلك، حملا المستند الذي أقرّ بهما زوجاً وزوجة، وخرجا إلى العربة التي كانت ستنقلهما إلى محطة غار دي نورد التي سيغادران منها إلى انكلترا.

كان من المستحيل على بينيلوب أن تأخذ معها كثيراً من الأمتعة، ولكن، كما قالت لأوديتا: «يمكنك أن تعيدي معك كل شيء إلى انكلترا، وإذا أنت أدعيت بأن أثوابي الجديدة هي ملكك فإن أبي لن يصادرها.»

وعلى كل حال، فقد لطفت أوديتا بكل مهارة من خطة سيمون الأساسية بحيث تمكنت بينيلوب من أخذ عدد من أثوابها المسائية الجديدة معها وكذلك من أثواب بعد الظهر وذلك لكي تبدو جذابة في شهر عسلها.

عندما استلمت بينيلوب جواب سيمون على رسالتها قائلاً بأنه سيأخذهما من شارع دي لابيه رقم ٧، وذلك في الساعة الثانية والنصف، أرسلت أوديتا خبراً إلى الطابق الأسفل من المنزل بأن الآنسة بينيلوب متوعكة صحياً.

كانت تعرف أن هناك حفلة غداء سيحضرها السفير، فرأت أن من غير المحتمل أن يصرّ اللورد واللايدي والمر على حضور بينيلوب نظراً لهذه الظروف.

وهكذا أرسل الطعام إلى غرفتي نوم بينيلوب وأوديتا معاً.

وانتظرتا إلى أن علمتا أن الغداء ابتدأ، فقرعت أوديتا الجرس لجين وأخبرتها بأن الآنسة بينيلوب قد تذكرت أنها على موعد هام مع وورث لقياس ثيابها، وذلك في الساعة الثانية. وحيث أنها تريد أن تغير عدة أثواب، فهي ستأخذها معها. ويجب أن لا تتأخر وإلا فسيكون مستحيلاً عليه رؤيتها.

ولم يبد على جين ما ينبىء عن الإرتياب في هذا الكلام. وكانت أوديتا تدرك أنها ستدلي بنفس هذا الإيضاح للخادم التي أرسلته يطلب لهما عربة من الإصطبل.

أسرعتا تهبطان السلم وهما تعلمان أن أحداً لن يراهما ما دام الغداء هو في قاعة الطعام الكبرى.

أسكتا أنفاسهما إلى أن خرجت العربة من فناء المنزل لتصبح في الشارع العام.

www.rewayti.net

عندما وصلتا بحقائبهما إلى شارع دي لابيه رقم ٧، طلبت أوديتا من الحوذي أن يعود إليهما بعد ساعتين ونصف الساعة، قائلة: «إننا سنتأخر هذا الوقت هنا، ولا حاجة بك إلى أن تجعل الجياد تنتظر في الشارع.»

فسرّ الحوذي لذلك، ورفع يده إلى رأسه محيياً، ثم استقل عربته وذهب، بينما طلبت أوديتا من خدم السيد وورث أن يتركا الحقائب في الردهة.

كان ما زال هناك نصف ساعة لحضور سيمون، وسرّت بينيلوب إذ وجدت أن اثنين من أثوابها التي كانت أوصت عليها، جاهزة، فأخذتها.

واحتاجتا إلى حقيبة أخرى لتضعهما فيها، وعندما ركبتا العربة، لم تكد تجد أوديتا مكاناً تجلس فيها. وعلى كل حال، فقد تدبرت أمرها في الجلوس، قائلة: «أظن أن من الأفضل أن أذهب معكما إلى المحطة، ثم أعود إلى السفارة في نفس العربة.»

فقال سيمون: «نعم، طبعاً، مع أننا في الحقيقة، يجب أن نوصلك أولاً.»

فقالت بينيلوب بانفعال: «هذا خطر، فقد يرانا أبي.»

فأجابها: «لقد سبق وفكرت في ذلك، وأنا واثق من أن الآنسة شارلوود ليس لديها مانع في العودة من المحطة وحدها، رغم أن هذا غير لائق.»

فضحكت أوديتا: «لا يعادل هذا نصف عدم لياقة العمل الذي تقومان به أنتما الإثنان. ولكن لا يهمني الاهتمام بأمري عندما أجدكما قد ذهبتما.»

فقالت بينيلوب ضارعة: «أرجوك أن تكتمي الخبر عن

أبي قدر المستطاع. أفرضي أنه وصل إلى كاليه قبل وصولنا فنجده في انتظارنا لكي يخطفني من سيمون قبل أن نتمكن من اجتياز القنال.»

فقال سيمون: «من الصعب أن يتمكن من القيام بذلك إلا إذا طار كالعصفور.»

وسارت بهم العربة المحملة بالحقائب إلى مكتب الزواج، وعندما عادوا منه، كانت بينيلوب من السعادة لأنها أصبحت زوجة سيمون بحيث لم تعد تفكر في أي من المتاعب الأخرى.

ساروا جميعاً بصمت، وكانت بينيلوب تنظر إلى وجه زوجها بشغف. وعندما اقتربت ساعة الفراق، وضعت ذراعيها حول عنق أوديتا، وقالت: «أشكرك. أشكرك يا عزيزتي أوديتا. وعندما تعودين إلى الوطن ستكونين أول زائرة لي في بيتي الجديد في المزرعة. وسأريك كيف سأصبح زوجة مزارع صالحة.»

فقبلتها أوديتا بحنان، ووقفت على الرصيف تراقب القطار الذي أقلهما إلى أن ابتعد عن الأنظار.

ثم استقامت في وقفتها، وهي تفكر في أن عليها الآن، أن تواجه العاصفة.

عادت العربة إلى السفارة، وأثناء الطريق لم تكن تفكر في بينيلوب وسيمون، بل في الإيرل.

ساورها شعور بأنه يفكر فيها، وأنه ربما يجد الوقت الآن حين موعدهما الذي كان يظنه، ربما يجده يمرّ ببطء.

وشعرت لحظة، بدافع يدفعها إلى الذهاب إليه وإخباره بشخصيتها الحقيقية،، ثم سأله عما إذا كان شعوره نحوها

www.rewayti.net

الليلة الماضية هو من القوة بحيث يجعله يصفح عن خداعها له.

ولكنها ما لبثت أن فكرت بأسى أن طلبها هذا منه هو مماثل لما لو كانت تطلب منه أن يتزوجها، فهي تعرف جواب هذا دون أن تقوله.

كانت واثقة من أن الإيرل إذا لم يكن قد سبق وتزوج، فهو لا ينوي التخلي عن حريته لأجل أية إمرأة وخصوصاً إمرأة يعتبرها دون مستواه الإجتماعي تماماً كما اعتبر اللورد والمر سيمون جونسون.

لم يكن بإمكانها تصور شيء أكثر إذلالاً وإحراجاً من أن تسمع منه أن الزواج منها لم يخطر بباله قط.

وهنا، انتبهت إلى أن العربة قد وصلت إلى السفارة.

دخلت الردهة، وإذا بها ترى رئيس الخدم ينظر إليها بشيء من الغرابة وهو يتقدم نحوها قائلاً: «لقد سأل سيادته عن الآنسة بينيلوب منذ حوالي الساعة. وعندما علم بأنكما خرجتما، أمر بأن توافيانه إلى غرفة الإستقبال حال عودتكما.»

وجنبت أوديتا نفساً عميقاً. كانت تعلم مسبقاً بأنها ستواجه موقفاً غاية في الصعوبة، ولم تكن مخطئة في ذلك.

عندما دخلت غرفة الإستقبال، وجدت الإثنين اللورد واللايدي والمر جالسين معاً. وعلمت من التعبير الذي ظهر على وجهيهما أنهما كانا يتوقعان رؤية بينيلوب معها.

دخلت بهدوء بينما كان اللورد والمر يقول بحدة: «أين بينيلوب؟ لقد كانت أوامري أنني أريد رؤيتكما أنتما الإثنتين.»

«أخشى، يا سيدي اللورد أن هذا الأمر مستحيل.»

«ماذا تعنين بكلمة مستحيل هذه؟»

فوجدت أوديتا صعوبة في الإجابة، ولكنها قالت أخيراً: «لقد... لقد... تركت باريس.»

«تركت باريس؟»

وكان هذا السؤال قد وجهته اللايدي والمر، بينما أخذ اللورد يحدق في أوديتا بدهشة بالغة.

قالت أوديتا بهدوء: «إنها قد... تزوجت... سيمون جونسون.»

فأرعد اللورد صارخاً: «هذا مستحيل. إنها تحت سن الرشد. إن عليها أن تحظى بموافقتي أولاً.»

وسألتها اللايدي والمر: «أين تزوجا؟»

وهنا واجهت أوديتا هذا السؤال الذي كان أكثر صعوبة.

وبينما كان اللورد ما يزال يصرخ بها، كانت زوجته قد لاذت بالصمت، وكانت أوديتا واثقة من أن اللايدي تفكر الآن في أن بينيلوب قد أصبحت بعيدة عن وجهها الآن، وبالتالي من الأفضل لها أن لا تقوم بأي تصرف بهذا الشأن.

وأخيراً، قال اللورد: «إني أعتبر أن الدور الذي قمت أنت به في هذا الأمر الشائن لا يمكن اغتفاره. فاحزمي أمتعتك وارحلي إلى انكلترا على الفور، وحيث أنني المسؤول عن إحضارك إلى هنا، فسأدفع أجرة عودتك إلى هناك، وسيتدبر سكرتير فخامة السفير، دون شك، توصيلك إلى المحطة.»

وسكت برهة، ثم عاد يقول: «لا أريد أن أراك أو أسمع صوتك مرة أخرى. وعندما أعود إلى الوطن، سأخبر أباك عن تصرفك هذا الذي أعتبره عدم وفاء وخيانة للثقة.»

www.rewayti.net

ولم تستطع أوديتا النطق بشيء. وهكذا غادرت الغرفة.

وفي الطابق الأعلى كانت إيميلين، والتي يبدو أنها علمت بما حدث، في انتظارها.

سألتها: «هل صحيح أن الآنسة بينيلوب قد تزوجت؟»

«نعم يا إيميلين وهي سعيدة جداً.»

«أتعلمين أن سيادة اللورد غاضب جداً؟»

فأجابت أوديتا بجفاء: «نعم، أعلم ذلك. ولكن السيد سيمون جونسون قد ورث أملاكاً واسعة وكثيراً من المال.»

فهتفت إيميلين: «هذا حسن. لأنني أظن أن الحب مع الفقر مزعج جداً.»

فضحكت أوديتا، ثم قالت: «حيث انني في موقف مهين، فإن عليّ أن أرحل على الفور، ولهذا يجب أن أحزم أمتعتي، يا إيميلين. إنني آسفة لأنني لن أستطيع أن أغير من طراز الثياب التي عندك أكثر من ذلك.»

فقالت إيميلين: «لقد كنت في غاية اللطف. وقد بعت حتى الآن الثوب الأزرق بمبلغ جيد. والآن سأعطيك ثوباً هدية، يا آنسة. أيّ منها تريدين؟»

فسألتها أوديتا: «أحقاً ما تعنينه؟»

فقالت إيميلين: «طبعاً، وأنت تستحقينه بعد عملك الشاق ذاك.»

وكان من الصعب عليها الإختيار، وأخيراً اختارت أوديتا ثوباً نهارياً جميلاً ذا لون أزرق داكن. وكان أكثر بساطة من بقية ثياب اللايدي والمر الأخرى كما كانت تعلم أنه ينفعها أكثر من بقية الأثواب حيث أنه عملي، مهما بلغ من جمال الأثواب الأخرى التي ربما لن تستطيع ارتداءها.

فكرت لحظة في أن تأخذ الثوب الفضي كذكرى، ولكنها ما لبثت أن حدثت نفسها أن ذلك سيشعرها بالتعاسة إذ يذكرها بأن الإيرل كان قد قال لها بأنها تبدو فيه كالنجم.

كما أن إيميلين أعطتها القبعة التي كانت اللايدي والمر ترتديها مع هذا الثوب، ومع أن أوديتا فكرت في أن هذه القبعة، هي أكثر أناقة من أن ترتديها، إلا أنها قبلتها شاكرة.

ثم قالت لإيميلين: «عندما تعودين إلى الوطن، يا إيميلين، يمكنك أن تأخذي إليّ الأثواب الباقية لكي أغيرها لك، لأنك تعلمين أنه ليس مسموحاً لي بزيارة منزل اللورد مرة أخرى.»

فرفعت إيميلين يديها سروراً، ثم اندفعت تساعد أوديتا على حزم أمتعتها.

ولم يأخذ ذلك وقتاً طويلاً، وكذلك، حسب كلام بينيلوب، أخذت معها ثياب هذه الجديدة التي تركتها.

وعندما كانت أوديتا تغلق آخر حقيبة، جاءها خادم يقول إن السيد ماليت قد أمر بإحضار عربة لتأخذها إلى المحطة الساعة الخامسة ويريد أن يراها قبل رحيلها.

وتكهنت أوديتا بأنه يريد أن يعطيها نفقات السفر وتمنت لو كانت من الغنى بحيث يمكنها الرفض.

وعلى كل حال، كانت تعلم أن ليس بإمكانها دفع النفقات تلك، وهكذا هبطت السلالم إلى مكتب السيد ماليت الذي يشترك معه فيه السيد شيفيلد.

قال السيد ماليت: «لقد اشتريت لك تذكرة درجة أولى، يا آنسة شارلوود، وإلا فقد تجدين السفر بمفردك مزعجاً.»

كان يتكلم بشيء من الإرتباك، قبل أن يضيف قائلاً: «لقد

www.rewayti.net

كنت اقترحت على سيادة اللورد أن أرسل معك مرافقاً، ولكنه رفض قبول هذه الفكرة.»

فقالت: «سأكون بخير، ولكن من الشهامة منك أن تفكر في هذا الأمر.»

«لقد أرسلت، على كل حال، من يرافقك حتى المحطة لكي يهتم بأمتعتك ويضعك في عربة في القطار لا تشغلها سوى السيدات.»

فتمتمت قائلة: «أشكرك.»

فتابع يقول: «لا أستطيع أن أفعل أكثر من هذا. وعندما تصلين إلى كاليه اطلبي مقصورة في الباخرة وفي القطار الذي يأخذك من الباخرة إلى لندن، اطلبي عربة، لا يدخلها الرجال.»

وأدركت أوديتا انه كان مهتماً بإخلاص بفتاة صغيرة تسافر بمفردها في مثل هذا الطريق الطويل، وأدركت أن أباها لو كان يعلم بذلك، لكان قلقاً هو الآخر.

ولكنها كانت تعلم أيضاً أن اللورد والمر، في غضبه الشديد هذا، كان يريد أن يتخلص منها بأسرع ما يمكن ولم يكن ثمة فائدة من أن تقول إنها تشعر بالخوف من السفر وحدها.

ولكنها لم تشعر بالضياع والوحدة، إلا بعد أن سار بها القطار نحو كاليه، بينما وقف المرافق لها يلوح لها بيده مودعاً وهو يبتسم.

ولكنها عندما جلست في مقعد في الزاوية، فكرت في أنها، على كل حال، ما زالت ساندريلا.

لو كان يعلم الإيرل ما الذي حدث، لأدرك أن عربتها،

في حكاية ساندريلا الخرافية، قد استحالت إلى ثمرة يقطين، والثوب الذي كانت تلبسه، والذي كانت خاطته بنفسها، قد أصبح رخيصاً قديم الطراز ومختلفاً جداً عن ذلك الثوب الفوال الفضي الذي رآها فيه آخر مرة.

وتنهدت. وفكرت في أن النجوم قد اختفت. وامتلأت عيناها دموعاً.

* * *

أمضت أوديتا ليلة غير مريحة حيث أن القطار لم يصل إلى كاليه إلا عند الساعة السادسة صباحاً.

ورأت أن السماء ممطرة، والضباب يغطي البحر. وارتجف ركاب القطار من البرد وهم يهبطون منه إلى الرصيف.

على كل حال، كان هناك كثير من الحمالين، ومع هذا فقد نظر إليها الحمال الذي نقل حقائبها، باستخفاف. وفكرت في أنه لا يتوقع هبة سخيّة من إمرأة تسافر بمفردها وليست أنيقة الملبس.

لم يسرع ليضعها على سطح الباخرة، وعندما تمكنت أخيراً من اللحاق بالمسافرين الذين كانوا يتدافعون للصعود لم تجد لنفسها مقصورة خاصة.

وكانت قد حدثت عاصفة في الليلة السابقة وكان البحر ما يزال هائجاً في الوقت الذي تحركت فيه السفينة خارجة من المرفأ.

على كل حال، فقد كانت أوديتا تعلم أنها بحارة ماهرة لأن والديها كانا يأخذانها غالباً إلى يارموث أثناء الصيف،

www.rewayti.net

وكان أبوها يتسلى بالخروج لصيد السمك في زورق صغير كان الموج يتقاذفه على الدوام بشكل مزعج.

ولأنها لم تكن تشعر بدوار البحر، في ذلك الحين، ولأنها كانت تستمتع بالأيام التي يكون فيها البحر مضطرباً أكثر منه عندما يكون رائعاً، فقد كانت تعلم أنها، عندما تكون محظوظة، يكون الآخرون مستسلمين للقيء، يجلسون شاحبي الوجوه يئنون مع كل حركة للسفينة.

وجدت مقعداً فوقه مظلة تقيه المطر، فجلست وقد عادت للتفكير في أنها تخلف وراءها الإيرل في فرنسا، متسائلة عما عسى أن يكون شعر به عندما انتظرها في المساء السابق دون أن تأتي.

أترى انتابه القلق من أن لا يراها مرة أخرى، أم أنه كان لامبالياً؟

كان من الصعب أن تتأكد من طبيعة شعوره عند ذاك. واستمرت تسأل نفسها ما إذا كان حقاً قد تملكه نفس شعورها وهما يقفان معاً يتأملان القمر والنجوم.

ربما لم يكن لديه أي شعور خاص نحو تلك الأوقات ولكن بالنسبة إليها، كانت شيئاً يفوق الوصف. كانت روعة غامرة ستبقى محفورة في قلبها، وستظل ذكراها حية في نفسها إلى يومها الأخير.

وتنهدت تحدث نفسها، إني أحبه.

وكان الشاطىء الإنكليزي قد أصبح ظاهراً للعيان عندما سألها رجل كان جالساً على مقعد قريب منها: «هل أنت مسافرة بمفردك؟ ما كان يجب على فتاة صغيرة جميلة مثلك أن تفعل شيئاً كهذا.»

فأجفلت وهي تنتبه من أحد أحلام يقظتها، ونظرت إليه بدهشة.

كان يبدو على الرجل الذي تحدث إليها أنه من الرعاع، وربما كان مسافراً في تجارة ما.

ولم تجب، فتابع يقول: «لا تكوني جافة نحوي. فأنا لا أحاول سوى إظهار المودة لك. فعملي مملّ كما ترين وذلك بتكرار الرواح والمجيء بين فرنسا وانكلترا ومع هذا لا أستطع أن أكوّن صداقات مع أولئك الضفادع.»

وضحك قبل أن يتابع قائلاً: «لا أقصد أن نساءهم لسن مقبولات. بعضهن ممتلئات بالحيوية، ليس في المظهر فقط.» وألقى عليها نظرة ماكرة ثم قال: «ولكني، في كل مرة أقول لنفسي انني أفضل الإنكليزيات وأنت أقحوانة إنكليزية، وتناسبين ذوقي تماماً.»

وحاولت أوديتا إيقافه عن حده وذلك بتجاهله، ولكنه لم يسكت.

استمر في كلام لا ينتهي، وأخيراً شعرت بالإرتياح عندما اقترب المركب من الرصيف وابتدأ كل شخص يجمع أمتعته.

قال لها الرجل والذي كان قد أخبرها أن إسمه دايل بانفرس: «الآن، إذا كنت ذاهبة إلى لندن سأعتني بك وأهيىء لك مقعداً مريحاً إلى جانبي.»

فقالت ببرود: «لا ضرورة لذلك. فأنا أريد أن أسافر في عربة خاصة بالسيدات.»

فهتف قائلاً: «هيا، إنك بهذا تضيعين فرصة سفرك هذا معي. أنا وأنت سنتحدث معاً ونمتع أنفسنا... لِمَ لا؟»

ووضع الآن جسر الألواح الخشبية بين الباخرة

www.rewayti.net

والشاطىء وانحنت هي تحمل الكيس الذي كان عند قدميها. وما أن فعلت ذلك، حتى كان الرجل، والذي كان قد وقف الآن، يقول: «هيا يا عزيزتي. ولا تشيحي بوجهك عني. لا حاجة بي إلى أن أخبرك بما أنوي الحصول عليه منك.»

ولأول مرة، تشعر أوديتا بالخوف منه. فقالت ثائرة: «إبتعد عني ودعني وحدي.»

فعاد يضحك، وكانت في عينيه نظرة أخافتها، وفكرت، بعد فوات الأوان، أنه كان عليها أن تتركه منذ فترة بعيدة وتنزل إلى الصالون وبينما كانا يتعاركان، فتح باب بجانبهما وخرج منه رجل.

ولأنها كانت تجاهد بعنف وجهد كبير، لم تر أوديتا ذلك الرجل، وعندما استطاعت تخليص نفسها، سقطت عليه.

مدت يديها تثبت نفسها، وأثناء ذلك رفعت رأسها فشعرت كأن الزمن توقف عن المسير، وأنها حتماً تحلم.

ذلك أن الذي نظر إليها وعدم التصديق في عينيه، كان الإيرل نفسه.

www.rewity.com
hinda70

الفصل السادس

لم تكن دهشة أوديتا بأقل من دهشة الإيرل. نظر إليها بذهول تام قبل أن يهتف قائلاً: «أوديتا، ما الذي تفعلينه هنا؟»

كان مستحيلاً عليها أن تجيب، وبعد لحظة، عاد يقول: «هل أخذت رسالتي؟ لقد أرسلتها مع خادم إلى المكان الذي كنا صممنا على الإجتماع فيه.»

«ر... رسالة؟» وبدا أن شفتي أوديتا غير قادرة على تكوين الكلمات. ولكن الإيرل قال: «لقد قلت فيها ان جدتي ماتت وان عليّ أن أعود إلى انكلترا على الفور، ولكنني لا أفهم...»

وقبل أن يتم كلامه، سادت الفوضى حولهما. لقد توقفت الباخرة، وصعد الحمالون إلى ظهرها يبحثون عن زبائن.

«هل تريد حمالاً، يا سيدي؟ حمالاً؟» ودفع واحد منهم نفسه بين أدويتا والإيرل، وفي تلك اللحظة أدركت أنها لم تكن تحلم وأن الإيرل كان هنا حقاً.

وبتمتمة متقطعة، استدارت وهربت منه على طول سطح الباخرة لتهبط أول سلم لاح لها.

شقت طريقها بين الصاعدين بعنف جعل البعض يتذمر من تصرفها هذا، ولكنها لم تسمع أصواتهم. كان في ذهنها فكرة واحدة، وهي أن تهرب من الإيرل حتى لا تضطر إلى توضيح سبب وجودها على متن هذه السفينة.

فقط، عندما وصلت إلى الأسفل، تذكرت أن أمتعتها في

www.rewayti.net

هذا المكان، ورأت حقائبها قرب تلال من بقية الحقائب فهرعت نحوها.

«حمال يا سيدتي؟» وكان ثمة حمال بجانبها.

فأجابت: «نعم، نعم. خذ هذه الحقائب بسرعة، يجب أن أنزل إلى الرصيف على الفور.»

فاندفع الحمال الذي كان فتياً نشيطاً يشق طريقه بين جموع الركاب، إلى أن أصبحا على الرصيف.

ولم تنظر أوديتا إلى أعلى خوفاً من أن يكون الإيرل واقفاً على حاجز السفينة ينظر مفتشاً عنها، مع أنها فكرت في أن ذلك غير محتمل.

قالت للحمال: «أريد أن أستقل القطار الذاهب إلى لندن.»

«أتريدين القطار التابع للباخرة يا سيدتي؟»

«وهل هنالك قطار غيره؟»

«نعم، يا سيدتي، ولكنه بطيء ويقف عند المحطات.»

فأمرته قائلة إقطع لي تذكرة لهذا القطار.

وسرعان ما كان الحمال يقطع لها تذكرة في مقصورة ذلك القطار مكتوب عليها للنساء فقط.

وجلست أوديتا على أبعد مقعد في الرصيف آملة أن لا يراها الإيرل إذا كان يبحث عنها.

كانت واثقة من أن الإيرل لا بد استقل القطار التابع للباخرة متوقعاً أن تكون هي فيه أيضاً. ولكنها لم تشعر بالأمان إلا بعد أن تحرك القطار ببطء مبتعداً عن المحطة بعد أن سبقه في الإنطلاق قطار الباخرة.

عند ذلك، وبآهة عميقة، إتكأت إلى الخلف وأغمضت عينيها.

لقد رأته. لقد رأته مرة أخرى، ولكنها كانت أكثر جبناً من أن تشرح له الأمر؟ وهل بالإمكان أن تدعه يعلم أن كل ما كانت قالته له، كان كذباً؟ إنها ليست فرنسية، وليست أميرة، وليست متزوجة ولكنها خيالية فقط، وكذابة.

وفي نفس الوقت، كانت تشعر برغبة في البكاء، لأنها تركت الآن، أكثر من أي وقت آخر، أنها قد خسرته.

لقد أصبح الأمر الآن أسوأ من قبل، لأن الإيرل لم يعد يفكر فيها الآن كإمرأة رائعة الأناقة ظن أنها هبطت عليه من كوكب آخر، وإنما إمرأة رثة الثياب تتعارك مع رجل عامي.

لقد أدركت الآن أن دايل دانفرس قد اختفى بسرعة عندما رأى سيداً يتقدم منهما.

فقد كان رجلاً وضيعاً يستقوي على إمرأة وحيدة ضعيفة لا ناصر لها، بينما، يستحيل إلى شخص جبان إذا كان لها من يحميها من وقاحته من الرجال.

ولم يكن هذا مهماً، المهم هو أن الإيرل قد رآها كما هي، وكانت هي تعلم أن الملابس التي ترتديها تشير إلى مركزها في الحياة.

وفكرت ساخرة في أنها، فوق كل ذلك، قد طردت من العمل التي كانت تقوم به. وشعرت بأن هذا هو قمة الإذلال.

لكن الحمال على حق. فقد كان القطار بطيئاً جداً، ويقف عند كل محطة كل بضعة أميال، وهكذا لم تصل أوديتا إلى لندن إلا في ساعة متأخرة من الليل.

وعندما غيرت المحطة، وجدت أن ليس هناك قطاراً ذاهباً إلى منطقتها إلا في الصباح الباكر.

وشعرت بالخوف الشديد من البحث عن فندق، وظنت، ولو

www.rewayti.net

أنها كانت غير واثقة من ذلك، أن ليس ثمة مكان محترم يقبل بأن يستضيف إمرأة وحدها.

ولهذا جلست في غرفة انتظار السيدات في المحطة بقية الليل. ولما كان هذا ليس بالأمر غير العادي، فلم يحقق معها أحد في هذا. نامت قليلاً، ولكنها جلست معظم الوقت تفكر في الإيرل، شاعرة وكأنه استولى على مشاعرها وكيانها إلى حد شعرت معه أنه بجانبها وعيناه الزرقاوان الداكنتان تنظران في عينيها وقد إلتوت شفتاه قليلاً بإحدى ابتساماته الساخرة.

وجعل التفكير به حبها يفيض في كيانها كمدّ البحر. كانت تعلم أنه امتلك منها القلب، ولن يعيده إليها مرة أخرى.

* * *

عندما بزغ الفجر، وابتدأت الحركة على الرصيف، ذهبت أوديتا إلى الاستعلامات فعلمت أن هناك قطاراً يسير مبكراً يمكنها الذهاب فيه، كما أنه لم يكن هناك عربة درجة أولى ملحقة به.

وبشيء من الصعوبة، وجدت حمالاً نقل أمتعتها وعندما سار بها القطار أخيراً، أدركت أنه سيمضي وقت طويل قبل أن تصل في النهاية إلى بيتها.

وفي الواقع، لم تصل إلى في أواخر العصر من ذلك النهار، لتواجهها صعوبة الإنتقال من بورن إلى إدنهام.

وبينما كانت تشعر بالقلق مما عليها أن تدفعه من مبلغ معتبر أجرة عربة تقلها، إذا بها ترى، لحسن حظها، أحد المزارعين الذين تعرفهم.

حيته، وكما كانت توقعت، فقد عرض عليها أن يوصلها بعربته.

كان مزارعاً عجوزاً من نوع يختلف تماماً عن سيمون جونسون وأسرته.

وفر لها ما يستطيعه من أسباب الراحة، وتحدث معها ببطء عن قضايا الريف وذلك طوال الطريق إلى القرية.

ويظهر أنه لم يلاحظ أنها لم تكن تجيبه، وعندما شكرته على إحضاره لها إلى بيتها، قال: «لقد كان الحديث معك من دواعي سروري، يا آنسة. تحياتي إلى أبيك.»

فأجابت: «سأفعل ذلك، وشكراً مرة أخرى.»

وعندما فتحت حنة الباب، تملكتها دهشة شديدة لرؤيتها واقفة عند العتبة.

هتفت قائلة: «لم أكن أتوقع مجيئك، يا آنسة أوديتا. لقد سمعت بالأمس فقط من شخص في منزل اللورد بأن ليس هناك خبر عن عودتهم.»

فأجابت أوديتا: «سأخبرك بكل شيء عن ذلك، يا حنة. ولكنني الآن مرهقة جداً.»

فهتفت حنة: «يبدو عليك ذلك. كما أن منظرك بالغ التشعث. ما الذي فعلته بثوبك؟»

فأجابت أوديتا: «لقد رقدت به.»

وتجاهلت صرخة الذعر التي صدرت عن حنة، ودخلت المكتب تبحث عن أبيها.

وكما كانت تتوقع، كان جالساً إلى مكتبه يكتب وأمامه أكوام الكتب.

هتفت به: «لقد عدت يا أبي.»

www.rewayti.net

وللحظة، رأته يحدق فيها وأنه لم يعد إلى الواقع من حيث كان يكتب عن بلاد الإغريق أو أي مكان آخر يشغل تفكيره. ولكنه ما لبث أن انتبه إليها، وقال: «أوديتا، يا طفلتي العزيزة، ما أشدّ سروري بعودتك. لقد اشتقت إليك.»

«أصحيح يا أبي اشتقت إليّ؟»

«نعم، بالطبع. فالمكان هادىء جداً من دونك. هل استمتعت بوقتك في باريس؟»

فأجابت: «كثيراً جداً.»

وكانت هذه كلمة لا تصف كل ما حدث وما شعرت به.

مرت لحظة لم تستطع أن تقول شيئاً، ولكنها كانت تدرك أنها ستقدم الكثير من الإيضاحات عندما يصبح زواج بينيلوب وسيمون جونسون معروفاً.

وكان هنالك شيء واحد صممت عليه، وهو أن لا تتحدث عن الإيرل إلى أي شخص كان، حتى ولا إلى حنة.

• • •

وفي اليوم التالي، تأخرت أوديتا في النوم ولكنها كانت من فتور الهمة بحيث لم تشعر بالرغبة في القيام بشيء.

وعندما ابتدأت حنة تفتح حقائبها، ابتدأت الأسئلة تتوالى عليها بسرعة.

لم يكن هنالك فقط الثوب الجديد الذي منحته لها إيميلين، والذي جعل حنة تهتف ذاهلة، وإنما كان هنالك مفاجأة رؤية ملابس بينيلوب بين الأمتعة هذه.

سألتها: «لماذا احضرت معك ملابس بينيلوب؟ ولماذا رجعت وحدك؟ أظن بينيلوب بقيت في لندن.»

فقال أوديتا في ضعف: «كلا. إنها ما زالت في باريس.»

فوضعت حنة الثوب من يدها، وسألتها: «هل تريدين أن تقولي إنك سافرت وحدك طوال الطريق من باريس إلى هنا؟»

فأجابت أوديتا: «إنها قصة طويلة. وأنا متعبة الآن لا أستطيع أن أخبرك بها.»

فقال حنة محتجة: «وكيف سمح لك سيادة اللورد بالمجيء وحدك دون مرافق؟ إنها فضيحة لا شك في ذلك، وأنا سأحدث أباك عنها.»

«كلا كلا، أرجوك يا حنة. لا تفعلي شيئاً كهذا. إذا شئت الحقيقة، فقد طردني اللورد لأنه كان غاضباً جداً.»

فسألتها حنة مستفهمة: «كان غاضباً؟ ولماذا كان غاضباً منك؟ أريد أن أعلم.»

فقالت أوديتا: «لا شك أنك ستسمعين بالسبب عاجلاً أم آجلاً. لقد تزوجت الآنسة بينيلوب من سيمون جونسون.»

ظلت حنة تحدق فيها لحظة، ثم قالت: «إذن، فما يقوله الناس صحيح، وهو أن بينيلوب كانت تقابل سيمون في الغابة. ولكنني لم أصدق ذلك.»

فقالت أوديتا: «بل هو صحيح. وهما الآن سعيدان جداً.»

فهتفت حنة: «ما هذه المفاجأة؟ أظن سيادة اللورد كان من السخط بحيث طردك، لأنك سمحت لذلك بأن يحدث؟»

فابتسمت أوديتا لسرعة حنة في استيعاب الأمر. وقالت: «هذه هي القصة. وهكذا لن أذهب إلى منزل اللورد بعد الآن. وأظن أن السيدة بينيلوب سيمون جونسون ستأتي إلينا لتأخذ ملابسها الجميلة.»

وعادت حنة باهتمامها إلى الزي الجديد، وهي تقول

www.rewayti.net

بحماس: «أرجو أن لا تأتي إلينا قبل أن ننسخ طراز هذه الأثواب.»

وانفجرت أوديتا ضاحكة.

* * *

ومرت الأيام القليلة التالية ببطء شديد.

وعلمت أوديتا من حنة أن القرية كانت تغلي غلياناً لقصة زواج بينيلوب. ولكن لم يكن هنالك أي خبر من اللورد واللايدي والمر.

ولم يعرف أحد ما هو شعور والد سيمون نحو الموضوع ونحو كنته الجديدة.

واشتاقت أوديتا إلى رسالة من بينيلوب، ولكنها فكرت في أن عليها أن لا تتوقع ذلك الآن، وعلى كل حال، لم تكن بينيلوب تتوقع أن تكون عادت من باريس.

بدا لها كل شيء، وكأنه غير حقيقي. وشعرت أوديتا وكأنها تتحرك في النهار كالخيال، ولا تعيش إلا في الليل عندما تغمض عينيها وتبدأ التفكير في الإيرل، لتعود معه مرة أخرى، إلى الغابة، والشلال وضوء القمر والنجوم.

وجعلها حبها الشديد له، تشعر بمثل الحجر في صدرها كان يزداد ثقلاً عن يوم. ولم تكن تستطيع أن تفكر أو تشعر بأي شيء آخر.

وصلت رسالة بعد أسبوع من وصولها من باريس وكانت تتناول طعام الإفطار، وكانت معنونة باسم أبيها. ولأنه كالعادة، كان مستغرقاً في قراءة كتاب، وضع الرسالة جانباً دون أن يحاول قراءتها.

ولما كانت أوديتا على شيء من الفضول، فقد سألته: «لماذا لا تفتح رسالتك يا أبي؟ فقد تكون من أحد الناشرين.»

ولم تكن تجد هذا محتملاً، ولكنها كانت الطريقة الوحيدة لجعله يهتم برسائله. فقد كانت تثق دوماً باستجلاب اهتمامه عند ذكر الكتب، بينما كل الأمور الأخرى المتعلقة بشؤون القرية، تتركه بارد الشعور.

فقال أبوها بشيء من الهزل: «ومن المحتمل أن تكون فاتورة للدفع. إفتحيها يا عزيزتي فأنا أريد الآن أن أستخرج هذا المرجع ما دام في ذهني.»

أخذت أوديتا المغلف الذي كان مصنوعاً من ورق نفيس، ثم فتحته بكسين الزبدة.

وعندما أخرجت الرسالة، وجدتها مكتوبة على ورق مزخرف في أعلاه. فقالت: «إنها من جامعة أوكسفورد، يا أبي.»

فلم يجب، وأدركت أنه لم يسمعها، وهكذا قرأت الرسالة إلى آخرها، وإذا بصرخة تصدر عنها.

كانت الصرخة عالية جعلت أباها يرفع رأسه. صرخت قائلة: «إسمع يا أبي، إسمع. هذا شيء مثير جداً. في الواقع، هو أكثر الأمور التي حدثت لك، إثارة.»

فسألها دون مبالاة: «وما هو؟»

«لقد قلت لك إن الرسالة من أكسفورد، وهم يخبرونك أنك فزت بجائزة.»

فسألها: «ماذا تقولين؟ ما هذا الذي تتحدثين عنه؟»

فنهضت عن كرسيها وتقدمت بالرسالة نحوه، ثم مالت عليه وهو يقرأ الرسالة.

www.rewayti.net

وكان هذا، كما قالت، شيئاً مثيراً جداً. فقد كانت الرسالة تبلغ أباها بأن بين جوائز أخرى وضعتها هذه الكلية، والتي كانت هي الجامعة التي درس فيها في أكسفورد، واحدة امتدت إلى الباحثين في أسس الأديان القديمة والحضارات، وكتابه تأثير الكتب الدينية على الحضارة قد وقع عليه الإختيار بوصفه أكثر الكتب جدارة بمداومة البحث.

وقد أنلى المانحون بأصواتهم بتجرد تام في أنه يستحق منحه خمسمائة جنيه كل عام لكي يستطيع الإستمرار في أبحاثه.

وحيث أن الجوائز ستوزع في الرابع عشر من حزيران (يونيو)، فإن رئيس الجامعة يتطلع إلى استقباله ضيفاً عنده في ذلك الموعد.

قالت أوديتا: «هذا يعني بعد أسبوع. آه، يا أبي... ما أجمل هذا. هل فهمت؟ إن هذا معناه أننا أصبحنا أثرياء.»

فقال أبوها بصوت منخفض: «إنه شرف كبير.» وقرأ الرسالة مرة أخرى وكأنه لم يصدق ما أخبرته به أوديتا، ثم قال: «لا بد أن ناشري كتبي قد قدموا كتابي للجائزة دون علمي. وليس لديّ فكرة عن أنهم يفكرون في ذلك.»

فصرخت أوديتا: «هذا رائع. رائع. فكر في ما ستصبح عليه حياتنا. إن بإمكاننا أن نحصل الآن على الكثير من وسائل الرفاهية التي حرمنا منها في قبل... ثم نحضر إمرأة من القرية لتساعد حنة، وربما...»

وسكتت.

كانت على وشك القول إنها ربما سيكون في إمكانها

شراء ثياب جديدة، إلى أن أدركت أن أباها لم يكن يستمع.

كان فقط يحدق في الرسالة، التي كان يحملها في يده. فعلمت أنه كان يفكر في كتابه فقط، وأن هناك من يقدّره، فهو لا يولي الفوائد المادية التي ستوفرها له الجائزة، أدنى اهتمام.

وفيما بعد، أدركت أوديتا أنها لو لم تعاود النظر إلى الرسالة، لغاب عنها شيء هام.

كانت هناك قطعة من الورق عليها ثلاثة أسئلة الأول، ما إذا كان والدها سيقبل الجائزة. الثاني، إذا كان سيقبل الدعوة للنزول ضيفاً في الجامعة. أما الثالث فهو إذا كان يريد أن يحضر معه زوجته، أو ابنه، أو ابنته إلى أكسفورد.

وكتبت أوديتا جواب هذه الأسئلة، ثم، عندما استقر أبوها في مكتبه يعاود قراءة كتابه هذا الذي نال الجائزة، واجهت المشكلة وهي ماذا تلبس.

ولحسن الحظ، كان لديها الثوب النهاري كاملاً مع سترة صغيرة وقبعة، والذي منحتها إياه إيميلين ولكنها كانت تعلم جيداً أنها ستحتاج إلى ثوب سهرة. والثوبان اللذان كانت ارتدتهما عند خروجها مع الإيرل، قد تركتهما خلفها في باريس، وخطر لها أنها لو كانت تعلم أن أباها سيظفر بكل تلك النقود لكانت اشترت أحد ذينك الثوبين من إيميلين ولكن، قد فات ذلك الآن. وقالت حنة: «لا يمكنك الجلوس لتناول العشاء مع كل أولئك الأساتذة وأمثالهم، مرتدية مثل هذه الثياب.»

فقالت أوديتا باسمة: «إنهم يهتمون هناك بعقول الناس وليس بملابسهم.»

www.rewayti.net

فقالت حنة بحزم: «إذا لم يكن لديك ثوب لائق، فلن أدعك تخرجين من هذا البيت. إننا سنشتري قماشاً جيداً، ثم ننسخ طراز أحد أثواب الآنسة بينيلوب.»

وكانت حنة من الحماس لهذه الفكرة بحيث لم تستطع أوديتا سوى القبول، رغم أنها كانت، في نفس الوقت، تفكر في أنه لا يهمها ما تلبسه. ذلك لو أن كل شخص في أكسفورد كان مميزاً، فهذا لم يكن ليعني لها شيئاً. لأن ليس بينهم الرجل الذي يهمها حقاً.

وهكذا ذهبتا إلى بورن بالعربة التي يجرها سنوبال.

وأخيراً وصلتا إلى المدينة حيث توجهتا إلى حيث المتاجر. وكانت هناك زوجات المزارعين كالمعتاد يبعن المنتوجات الريفية، وابتسم لهما معظمهن. ولكن هذا النهار لم يكن ثمة مجال للثرثرة.

كان أكبر متجر للقماش ولسلع الخياطة الصغيرة، كالأزرار والشرائط هو المتجر الذي كان تشارلس وورث في عام ١٨٤٨ قد صنع فيه القبعة الشرقية والتي مكنته أرباحها من السفر إلى لندن. وكانت أوديتا تفكر في أن تلك القبعة لا بد أنها رائعة الجمال بالدانتيل والزهور الصناعية التي كانت تزينها في ذلك الحين. وكذلك ما كان قد حدث منذ ست سنوات، عندما كانت القبعات ذات الحواف مختصة بالرجال. وعندما ظهرت زوجة وورث ماري، لأول مرة، واضعة قبعة ذات حواف، رأت بعض النسوة في باريس أنه كان مماثلاً لارتداء السيدة بنطلوناً...

وما أن دخلت أوديتا وحنة المتجر، حتى كان يحيط بهما صاحب المتجر ومساعدوه، وهم يهتفون: «لقد كنت في

باريس، يا آنسة شارلوود فهل رأيت تشارلس وورث؟ إذا لم تكوني رأيته فقد تكونين قد سمعت عنه.»

فأجابت أوديتا: «لقد رأيته وتكلمت معه.» فتجاوبت صرخات الحماس والإثارة، عند ذاك، ثم غمرتها الأسئلة، والجميع يتكلمون في وقت واحد. كيف شكله؟ هل هو حقاً ناجح كما يقول الجميع؟ هل هو حقاً يقيس للأمبراطورة أثوابها التي يصنعها لها؟ هل حقاً أن طراز الثياب تغيّر منذ السنة الماضية؟ هل انتهى حقاً عهد التنورة المنتفخة؟

وأجابت أوديتا على كل سؤال قدر إمكانها إلى أن قالت حنة في النهاية: «والآن، لم يعد لدينا وقت. نريد بعض الياردات من أفضل ما عندك من القماش لثوب سهرة. إن الآنسة شارلوود ستذهب إلى أكسفورد.»

«إلى أكسفورد؟ ولماذا يا آنسة؟»

وبالطبع، أخبرته بفوز والدها بالجائزة. وأدركت أوديتا بسرور، أن هذا الخبر سيعم المدينة بأجمعها خلال ساعة واحدة.

كانت في غاية البهجة لأجل أبيها لأنها كانت تعلم على الدوام أنه لا يقدره حق قدره سوى القليل من الناس. وغالباً ما كانوا يضحكون عليه من وراء ظهره لغياب ذهنه غالباً.

إنهم سيعلمون الآن مقدار نبوغه. وشعرت بالحزن لكون أمها ميتة لا يمكنها الشعور بالسعادة لهذا الأمر.

ولكن لم يكن هناك وقت للأسى، إذ لم يكن الوقت يسمح لغير خياطة الثوب.

وكان القماش الوحيد في بورن الذي كان يبدو جميلاً غالي الثمن، كان من الساتان ذي اللون الأزرق الباهت.

www.rewayti.net

ولأنه كان قريباً بلونه من ذلك الثوب الذي كانت ارتدته في الحفلة المقنعة في باريس، كان أول ما خطر لأوديتا هو أن ترفض شراءه.

ولكنها ما لبثت أن أدركت ليس فقط أن من الصعب أن تفسر لحنة سبب عدم رغبتها في ارتداء هذا اللون، ولكن كذلك لأنها لم تجد قماشاً آخر مناسباً.

ولم يجد صاحب المتجر قماشاً من التول بنفس اللون. ولكن كان لديه شرائط ذات لون أزرق داكن موشى بالفضة.

ولكن، حينما كانتا تتأهبان للخروج، لم يجد صاحب المتجر التول وإنما قماشاً آخر متشابهاً، وبنفس لون القماش تقريباً.

ومرة أخرى، حاولت أوديتا الرفض، ولكن حنة رفضت أن تستمع إلى ما تقول، وهكذا عادتا إلى البيت مظفرتين.

كانت أثواب بينيلوب أكثر تعقيداً مما كان يبدو عليها، ولكن حنة وأوديتا بذلتا جهدهما في نسخ الطراز على القماش.

عندما ارتدته لأول مرة، ونظرت إلى صورتها في المرآة، كادت تنفجر بالبكاء وهي تتذكر نفسها تلك الليلة عندما سمعت صوتاً ساخراً يسألها: «أتراك اتيت من العدم لتتفرجي علينا نحن البشر الفانين؟»

تذكرت كيف أخذا يتمشيان معاً تحت النجوم، وتذكرت أيضاً كيف جلسا إلى العشاء مدة طويلة وكان هو يقول: «الأميرة أوديتا هو اسم جميل لأجمل إمرأة.»

كان هذا ما كان يظنه في ذلك الحين، لأنها كانت ترتدي ثوباً أزرق.

ولكن آخر مرة رآها فيها، لم تكن أميرة وإنما كانت هي نفسها، وكانت واثقة من أنه يفكر الآن في أنه كان محظوظاً في الخلاص من التورط مع فتاة تافهة الشأن مثلها.

على كل حال، كان الثوب الأزرق رائعاً عليها إلى حد أذهل حنة نفسها، التي قالت: «لقد أحدث لك هذا الثوب شيئاً، بكل تأكيد. إن ذلك الرجل موهوب حقاً. سأقول لك عنه.»

فضحكت أوديتا، وقالت: «لو سمعوك تقولين هذا الكلام في باريس، لسجنوك في سجن الباستيل. فهم يحبون وورث. وهم يرونه أكثر أهمية من الأمبراطور.»

فقالت حنة: «لا أصدق لك، فهو لم يكن سوى صبي من بورن.»

فقالت أوديتا تغيظها: «حتى انهم لا يعتبرونه رجلاً موهوباً الآن، فهو عندهم محترفاً.»

«إذن، عليهم أن يهتموا باشياء أكثر جدوى، في باريس. إن الملابس الحسنة مطلوبة في الأوقات المناسبة، إنني لا أنكر هذا، ولكن هنالك أشياء أخرى في الحياة أكثر فائدة من جعل نفسك دمية.»

ضحكت أوديتا مرة أخرى، ولكنها حين خلعت الثوب الأزرق وعلقته في الخزانة، ساورها شعور بانها، بشكل ما، قد عادت فأمسكت بخيط دقيق من الحلم الذي كانت خلفته وراءها في باريس.

وكان ما زال هنالك الكثير عليها أن تقوم به لكي تنتقل بأبيها إلى أكسفورد. ذلك أنه ليس ملابسها فقط ما يشغل بالها، بل ملابسه هو أيضاً.

ولحسن الحظ، كان والدها ما زال يستطيع ارتداء البذلة التي كان يرتديها عند زواجه، رغم أنها كانت قديمة الطراز

www.rewayti.net

نوعاً ما. ولكنها كانت حسنة التفصيل، وعندما غسلتها حنة وكوتها، أصبحت أنيقة تماماً.

وكان لا ينفك عن القول: «لماذا كل هذا الإهتمام؟ لو عاد الأمر إليّ لفضلت البقاء في بيتي والإنكباب على إنهاء كتابي، فكلما أسرعت بإنجازه كان ذلك أفضل.»

وفي نفس الوقت، كانت أوديتا تعلم أنه كان في الواقع، بالغ السرور من التهاني التي كان يتلقاها من جميع زملائه، ولأن العمل الذي منحه كل عقله وقلبه، قد لاقى تقديراً عند من يستطيعون تقييم ذلك.

وكانت أوديتا أكثر واقعية من أبيها، بالنسبة إلى التعامل بالنقود. فقد كانت تعلم تأثير الخمسمائة جنيه سنوياً على مسيرة حياتهم. وبالإضافة إلى راتب والدها، رغم صغره، شعرت وكأنهم أصبحوا أغنياء.

قالت لحنة: «عندما أعود من أكسفورد، سنشتري أغطية جديدة للأرائك والكراسي في غرفة الإستقبال، وحتماً سجادة جديدة للسلالم.»

فقالت حنة تحذرها: «والآن، لا تشرعي بتبذير نقودك هنا وهناك. أنا لا أقول إننا لسنا بحاجة إلى بعض الأشياء، ولكن من الحكمة أن ننفق ببطء ونفكر مرتين قبل أن نفعل ذلك.»

فأجابت أوديتا: «هنالك شيء واحد لا أريد أن أفكر مرتين، بالنسبة إليه، وهو راتبك. لقد كانت أمي تشعر بالخجل للمبلغ القليل الذي ندفعه لك. إنك الآن ستتالين ضعف الذي كنت تتالينه من قبل، بالإضافة إلى هبة تضعينها جانباً توفرينها لشيخوختك.»

فسألتها: «هل لي الحق في إبداء رأيي فيما كانت ستقبل ذلك أم لا؟»

فأجابت أوديتا: «كلا. ذلك لأننا، أنا وأبي سنقدم إليك ذلك مصحوباً بحبنا، وستأخذينه أنت لأنك تحبيننا.»

ثم قبلت حنة وهي ترى الدموع تترقرق في عينيها.

وفي اليوم السابق لذهابها إلى أكسفورد، تلقت أوديتا رسالة من بينيلوب جاء فيها.

(لا أدري إذا كنت عدت إلى البيت أم لا، ولكنني أريد فقط أن أخبرك بمبلغ سعادتي، وكم هو رائع أن أكون مع سيمون. إنني لم أتلق خبراً عن أبي، ولكنني واثقة من أنه غاضب جداً علي. ربما سيدرك ذات يوم أن ليس هناك ما يهم عدا هذه السعادة التي أشعر بها مع زوجي. أرجوك أن تكتبي إليّ وتخبريني عنه وعن زوجته وعما يقولانه ويفعلانه. وتذكري دوماً أنني مدينة لك بالشكر على الدوام يا عزيزتي الغالية أوديتا، لأنك بثثت في نفسي الشجاعة لكي أتزوج من سيمون عندما جاء إلى باريس.)

وانتهت الرسالة بطريقة الأطفال في وضع عدد من القبلات، وفكرت أوديتا باسمة في أن أوديتا لم تكبر قط، وربما كان هذا هو السبب في ولع سيمون بها.

ذلك أنه، إذ لم يكن ذكياً فوق العادة، فقد كان الخوف سيتملكه إزاء إمرأة شابة حادة الذهن ما قد يجعلها تجد فيه عيوباً.

ولهذا تراه بينيلوب رائعاً، وهما دون شك، سيعيشان معاً طوال حياتهما بسعادة تامة.

كان كل ذلك أشبه بحكاية خرافية بالنسبة إلى ما حدث

www.rewayti.net

لقلبها هي، وهي، لدى التفكير فيهما، لا يسعها إلا أن تحس بشعور ضئيل من الحسد.

إن حكايتها هي الخرافية، لن تكون لها نهاية سعيدة. وكما أن ثوبها هو تقليد زائف لتصميم وورث، فإن عليها أن تمضي بقية حياتها محاولة القبول بسعادة زائفة.

وسألت نفسها كيف يمكنها أن تجد، بعد ذلك، شبيهاً ولو زائفاً لتلك البهجة الغامرة التي شعرت بها مع الإيرل.

كان مجرد التفكير فيه، يشعرها بالبهجة مصحوباً بالعذاب. ومع هذا، كان لا يخرج عن كونه ذكرى وليس حقيقة واقعة.

وحيث أن والدها كان يقرأ في القطار طوال الطريق إلى أكسفورد، سنحت لأوديتا الفرصة للإستغراق في التفكير.

وأخيراً، لاحت لهما ما اعتادوا تسميتها بمدينة الأبراج بمعاهدها القديمة الرائعة وشوارعها المزدحمة بالطلاب.

كانت مختلفة عن كل مكان شاهدته من قبل، ورأت فيها نفس الروعة والجمال اللتين رأتهما في باريس، وإن يكن كل في مجاله الخاص. وشعرت بالرهبة وهي ترى باحة الجامعة. وعندما استقبلهما المدير وعدد من أساتذة الجامعة، أدركت أنها، لأول مرة في حياتها، ترى أباها في مركزه الحقيقي الذي يؤهله له عمله ونكاؤه.

ولأن ذهنها كان مشغولاً بالتفكير في الإيرل، لم تكن قد لاحظت مبلغ الوسامة التي بدا عليها أبوها. إنما الآن، وقد بدا أكثر طولاً من معظم الذين كانوا يتحدثون إليه، بدا، ليس فقط كمفكر، وإنما كرجل أيضاً، أخبرها المدير بأن أباها سيمكث في الجامعة، لأنه سيكون مسروراً

فيها، أما هي فستمكث معه ومع زوجته في منزلهما الخاص.

قال لها: «ستقام حفلة عشاء على شرف أبيك هذا المساء، يا آنسة شارلوود، ويؤسفني أن لا تكوني أنت مدعوة إليها إذ أنها ستقتصر على أمور الرجال كلياً. ولكنك ستحضرين غداً الإحتفال بمنح الجائزة لأبيك. ونحن، أنا وزوجتي، سنبذل جهدنا في سبيل الاحتفاء بك.»

فأجابت أوديتا: «إنك بالغ اللطف. ويشرفني أن أكون هنا.»

كانت تتكلم بشكل رسمي متكلف، ولكنها ما لبثت أن قالت بشكل متهور: «وأنا مسرورة جداً جداً لأجل أبي.»

فأجاب: «وكذلك أنا، فأنا معجب جداً به، وكنت آمل في أن يختاروا كتابه هذا للجائزة. فهو رائع من كل النواحي.»

وسرّها للغاية أن تسمع هذا المديح بأبيها، كما سرها أيضاً أن ترى زوجته عندما وصلت إلى بيته، تقول لها عندما جلستا بمفردهما: «أرى أنك ترتدين ثوباً حديث الطراز تماماً، يا آنسة شارلوود. أخبريني من أين تشترين أشياء بهذا الجمال.»

فقالت أوديتا: «لقد كنت في باريس.»

فشبكت زوجة المدير يديها ببعضهما، وهي تهتف قائلة: «أتريدين أن تقولي إن ثوبك هذا من تصميم وورث، إنه يبدو كذلك بكل تأكيد، ولن أستطيع أن أصف لك مقدار رغبتي في أن أرى واحداً منها.»

وللحظة واحدة، ساور أوديتا الإغواء في أن تترك المرأة في سعادتها هذه إذ كانت تظن أن هذا الثوب الذي ترتديه،

www.rewayti.net

والذي كانت اللايدي والمر قد اشترته من شارع بوند في لندن ولم تحدث هي فيه سوى بعض التغيير، كانت تظنه من تصميم وورث. ولكن أوديتا عادت فحدثت نفسها بحزم بأنها لن تعود إلى الكذب مرة أخرى.

إنها ستقول الحقيقة مهما كانت صعبة، ومهما كلفتها. فربما أمكنها بذلك، من ناحية ما، أن تخفف من خطيئتها في الكذب على الإيرل.

وهكذا قالت بهدوء: «في الحقيقة، إن هذا الثوب ما هو إلا نسخة مقلدة عن تصميم للسيد وورث أنتجه في باريس، بينما الثوب الذي سأرتديه غداً مساء هو تقريباً نسخة مطابقة، لأحد أزيائه المسائية الرائعة والباهظة الثمن.»

وبينما كانت تتكلم، رأت خيبة الأمل تبدو على وجهها. ولكنها شعرت بنفسها سعيدة لقدرتها على مقاومة الإغراء بالكذب.

www.rewity.com
hinda70

الفصل السابع

أمضت أوديتا اليوم التالي مع زوجة المدير تطوفان بين الكلّيات وتقابلان عدداً كبيراً من الناس. والذين كانوا جميعاً يمدحون بأبيها ويعبرون عن مبلغ استمتاعهم بقراءة كتبه.

وكان البعض قد قرأ بعض كتبه الأولى التي كان قد كتبها في نفس الموضوع.

وقالت زوجة الرئيس باسمة: «ها أنت ذي ترين أننا لا ننسى رجالنا الكبار.»

كان هذا بعد أن حدثها عدد من اساتذة الجامعة كيف كانوا في الجامعة في نفس الوقت الذي كان فيه أبوها، وكيف أنهم الآن في غاية السرور لاجتماعهم به مرة أخرى.

وقال واحد منهم: «إن الشيء التالي الذي علينا أن نقوم به، هو دعوته إلى الإنضمام إلينا. هل تحبين العيش في أكسفورد، يا آنسة شارلوود؟»

فأجابت: «إنني سأكون في منتهى السرور.»

فقال الاستاذ العجوز: «إنني أعرف عدداً كبيراً من الشبان هنا يشاركونك شعورك هذا ولكنني لست واثقاً من أن هذا يساعدهم على التركيز على عملهم.»

وضحك المستمعون، بينما شعرت أوديتا بشيء من الخجل.

وفي نفس الوقت، أخذت تتمنى لو كانت أمها موجودة، فقد كانت أوديتا تعلم مبلغ الفرح الذي كان سيتملكها لفكرة

www.rewayti.net

ترك قرية إنهام والتي كانت تعلم كم كانت تقيد من حرية زوجها، وتضيع نبوغه عبثاً.

وعندما أقبل أبوها إلى منزل الرئيس قبل العشاء، أدركت أوديتا بأنه كان من الإبتهاج بحيث بدا أصغر وأكثر سعادة مما كان يبدو بعد وفاة أمها.

ولأنها كانت تريده أن يشعر بالزهو بها، إجتهدت في تصفيف شعرها بنفس الطراز الذي كانت تجعله به في باريس.

وعندما ارتدت الثوب الأزرق الذي صنعته بمشاركة حنة، شعرت وكأن الزمن قد عاد إلى الوراء وأنها خارجة بكل جرأة إلى تلك الحفلة المقنعة.

ولكن هذه الليلة، لم يكن هناك قناع. وكذلك لم يكن الإيرل موجوداً. وعندما نظرت في المرآة، لم تر نفسها فقط، بل رأته هو أيضاً واضعاً على كتفيه تلك العباءة الفينيسية، ولمحة من السخرية على شفتيه.

وحدثت نفسها قائلة، إني أحبه. ولكن ما الفائدة من الإستمرار في هذا القول؟

وعندما هبطت إلى الطابق الأسفل، هتفت زوجة الرئيس معجبة بجمال ثوبها وطرازه الذي لم تر مثله من قبل.

قالت: «إنني أشعر بنفسي زرية الملبس في تنورتي المنتفخة هذه. إن أول ما سأقوم به عندما تذهبين، هو السفر إلى لندن لأحاول أن أجد ثوباً بمثل طراز ثوبك.»

فقالت أوديتا: «إني واثقة من أن طراز التنورة المنتفخة سيزول قريباً. فعندما يصمم السيد وورث زياً، يتبعه العالم كله.»

فقالت زوجة الرئيس: «هذا صحيح، ولكنه غالي الثمن جداً بالنسبة لأزواجنا المساكين.»

تناول الجميع اكواب العصير في منزل الرئيس، ثم توجهوا، بعد ذلك، يجتازون المروج المنحدرة نحو النهر، ومن ثم دخلوا الكلية من باب الرئيس الخاص.

دخلوا من الفناء إلى القاعة الكبرى حيث كانت ستقام حفلة العشاء والإحتفال بتسليم أبيها الجائزة، معاً.

قال لها الرئيس: «في هذه الليلة يتجلى إبداعنا حيث أن الجائزة يقدمها أحد أعضاء الجامعة الكرماء، إلى عضو سابق فيها. وقد دعونا عدداً من أولئك الذين كانوا يدرسون في نفس الوقت مع أبيك...»

فقال أبوها باسماً: «أرجو أن لا يكون قد سيطر عليّ فقدان الذاكرة، فلا أستطيع معرفتهم.»

فجعل كلامه هذا أوديتا تنظر إليه بشيء من القلق، لأنها كانت تعلم جيداً مبلغ غياب ذهنه.

وعلى كل حال، فقد بدا هذه الليلة مستمتعاً إلى درجة كبيرة بحيث بدا عليه تركيز أفكاره في الحاضر وشعرت بأن كل شيء سيمر على أحسن حال.

وصلا إلى غرفة الجلوس الرئيسية والتي كانا فيها معاً قبل العشاء، وعندما دخلا من الباب رأت أنه كان هناك عدداً كبيراً من الأشخاص. فنظرت بسرعة إلى أبيها لترى إن كان بإمكانه تذكرهم.

ثم سمعت الرئيس يقول: «قبل كل شيء، يا شارلوود، يجب أن أقدمك إلى ممول هذه الكلية، والمتبرع بالجائزة الممنوحة لك... الإيرل أوف هاوتون.»

www.rewayti.net

وظنت أوديتا أنها ربما لم تسمع جيداً ما قاله، ثم، عندما رأت ذلك الذي يقف بجانبه، شعرت بقلبها يقفز من موضعه، وبصدمة جعلتها تشعر بالدوار.

كان هو الإيرل نفسه، وقد بدا بالضبط كما بدا تلك الليلة التي تناولت فيها العشاء معه، رائعاً في ملابس السهرة، وأكثر طولاً من كل الرجال الذين في الغرفة.

تلاقت أعينهما، وأدركت أنه كان يماثلها دهشة وذهولاً. ثم أخذ يصافح يد أبيها وهو يخبره بمبلغ سروره بفوزه هو بالجائزة.

ثم قال الرئيس: «والآن، يجب أن تتعرف إلى ابنته الآنسة أوديتا شارلوود.»

وتذكرت أوديتا بجهد، أن تنحني احتراماً. ولم تستطع أن تنظر مرة أخرى إلى عيني الإيرل. ولكن عندما صافحها، شعرت باهتزاز في كيانها نكرها بذلك الوقت الذي كانا فيه في الغابة الباريسية بجانب الشلال.

ثم كان من الصعب عليها التفكير في أي شيء آخر ما عدا وجوده هنا، أو فهم ما كان يقال لها.

وأثناء العشاء، أخذت تتبادل الحديث مع أستاذ نكي كان جالساً إلى يسارها، وتمكنت من الإجابة عندما أخذ الرئيس يسألها عن حياتهم في إدنبام.

ولكنها، طوال الوقت، كانت مشغولة الذهن بالإيرل فقط والذي بدا في أتم ارتياح، فكان يتحدث ويضحك بطريقة أشعرتها بأنه في غاية الإستمتاع.

ما هو شعوره نحوها، يا ترى؟ وما الذي يفكر فيه؟ أتراه غاضباً لخداعها له؟ والأسوأ من هذا، هل

تراه لم يعد يشعر بسوى السخرية من أكاذيبها وتحايلها؟

وبدا كأن لا نهاية لذلك العشاء، رغم لذة الطعام. ولو كانت في وقت آخر، لاستمتعت بمنظر تلك المائدة المضاءة بالشموع، وكونها إحدى النسوة القلائل بين تلك المجموعة الكبيرة من الرجال.

وعلى نحو ما، بدا لها أن كل هذا غير حقيقي. وفقط، عندما نهض أبوها ليلقي كلمة بعد أن تسلم الجائزة رسمياً، أرغمت نفسها على الإستماع إليه باهتمام.

شعرت من الطريقة التي تحدث بها، بمبلغ سعادته ورضائه. وعندما انتهى، وقف الإيرل.

وشبكت أوديتا يديها ببعضهما وهي تسمع صوته الذي أثار في كيانها مشاعر غريبة كان من الصعب السيطرة عليها.

قال إنه نال إذناً من المدير بأن يفشي سراً بقي حتى الآن محجوباً عن الفائز المتفوق بالجائزة. وهو أنهم سيقدمون إليه عضوية خاصة في الجامعة والتي ستكون جاهزة في الخريف وذلك بصفة إستاذ في الدراسات الحضارية، وهو يرجو أن يقبل حضرة السيد شارلوود الموقر بهذا.

وأدركت أوديتا أن هذا ما كان يلمّح إليه كل شخص طوال النهار، ولكنها لم تتوقع مطلقاً أن يحدث هذا في الحقيقة.

لم تكن تتصور شيئاً يمنح أباها سعادة أكبر، وكذلك يريحه من واجباته البسيطة التي كان يقوم بها، والتي كانت تتدخل دوماً في أبحاثه الدراسية. نظرت إليه والإيرل يتكلم، وشعرت للتعبير الذي بدا على وجهه أنه

www.rewayti.net

رجل وجد، بشكل غير متوقع، مدينة الكنوز الخيالية التي أمضى حياته يبحث عنها.

وعندما انتهى العشاء، وجدت أوديتا أن الرئيس وزوجته قد قدما دعوة للضيوف جميعاً لكي يتفضلوا إلى مرج منزلهم لتناول القهوة وغيرها.

وكان المساء جميلاً والشمس تغرب بكل روعة خلف أبراج المدينة، وكان في السماء شفافية ابتدأ معها أول نجم في الظهور.

سارت أوديتا فوق حشائش المرج الطرية، جارة ذيل ثوبها الأزرق خلفها، وهي تستمع إلى كلمات المجاملة من ذلك الرجل الذي كانت تتحدث إليه، رغم أن كلماته تلك لم تصل إلى قلبها.

وعندما أحاط الأصدقاء القدماء بأبيها، يتذكرون أيام الشباب، شعرت بيد قوية تسحبها نحو النهر.

وابتدأ قلبها يخفق بانفعال، ولكنها لم تجرؤ على النظر إلى الرجل الذي بجانبها. وسارا صامتين إلى أن وصلا إلى الضفة، ولكنهما استمرا في السير.

وفقط، عندما أصبحا بعيدين عن نظرات أولئك المجتمعين في المرج، وقف الإيرل.

شعرت كأنها وقفت في قاعة محكمة، وشعرت بكيانها يرتجف وهي تدرك أنها تواجه الإيرل وأنه ينظر إليها.

«إني... إني آسفة.»

«لماذا هربت؟»

ولم يكن هذا هو السؤال الذي كانت تتوقع أن يبتدىء به. وكانت تحاول أن تفكر كيف بإمكانها أن تفسر له السبب في

كذبها ذاك عليه في الحفلة المقنعة. وبعد فترة، أجابت: «ظننت... ظننتك ستكون غاضباً مني.»

«أنا فعلاً غاضب جداً.»

«أنا... آسفة... إنني... إنني لم أقصد... أن أكذب. لقد كنت... كنت أدعي بأنني كنت مدعوة إلى الحفلة تلك... ولهذا... وجدت أن عليّ أن... أدعي شخصية أخرى...»

فقال: «إنني غضبت لأنك هربت مني في السفينة بتلك الطريقة السخيفة. وظننتك سبقتني إلى ذلك القطار. ولكنني عندما وصلت إلى لندن لم أجدك فيه. ولم أستطع أن أعرف كيف يمكن أن أعثر عليك مرة أخرى.»

«وهل... هل أردت... العثور عليّ؟»

فقال بحدة: «طبعاً أردت العثور عليك.»

«ولكنني... لم أكن نفس المرأة... التي كنت تظنها.»

فسألها: «أتعنين أنك لم تكوني الأميرة؟»

ورغم أنها لم تكن تنظر إليه، إلا أنها شعرت به يبتسم وهو يتابع قائلاً: «لقد كنت أعلم ذلك من قبل.»

«وكيف... أمكنك أن تعلم؟»

«ذلك لأنني كنت أعلم أنك لست فرنسية، رغم أن لهجتك كانت فرنسية تماماً.»

فارتجفت أوديتا قائلاً، وعندما لم تتكلم، عاد يقول: «ولكن ذلك لم يكن مهماً، لأن في تلك الليلة عند الشلال كنت أنت النجم الذي كنت دوماً أفتش عنه، ومن حسن حظي اني وجدته أخيراً.»

فاحمر وجهها لقوله هذا، ثم قالت: «ولكنني... كنت أمثل دوراً كاذباً... وإنني أشعر بالخزي من نفسي.»

www.rewayti.net

«هل تشعرين بالخزي لمبادلتي مشاعري.»

فاندفعت تقول دون تفكير: «كلا، كلا. فقط لأنه ما كان لي أن... أخدعك.»

فقال بحزم: «إنك لم تخدعيني بالنسبة لشي هام. ولكن الذي أذهب بصوابي هو هربك ذاك مني والذي كان عملاً خاطئاً ماكراً ولم يكن لديّ فكرة عن الطريقة التي سأعود فأراك فيها مرة أخرى.»

ولأنه كان يتحدث بلهجة الاتهام، فقد قالت بانفعال: «إصفح عني... أرجوك... إصفح عني.»

ولأول مرة، رفعت عينيها إليه، وعند ذلك أصبح من الصعب عليها أن تحولهما بعيداً.

كانت عيناه تحدّقان في عينيها وكأنه يبحث في أعماق روحها، ثم قال: «سأصفح عنك فقط إذا وعدتني بألا تهربي مني بعد الآن.»

فتمتمت: «وكيف سيمكنني... ذلك؟»

فقال الإيرل: «سيكون ذلك مستحيلاً، لأنني لن أدعك تتركيني أبداً.»

وسرعان ما تلاشت مخاوفها، وتعاستها، ولم يبق سوى شعورها بأنها وصلت إلى ما كانت تتوق إليه، وكانت ظنت أنها خسرته.

وخيل إليها أنهما واقفان، مرة أخرى، في الغابة قرب الشلال، وأنه صعد بها نحو النجوم ولم تعد لهما صلة بالأرض.

وتمتمت متلعثمة: «إني أحبك... أحبك...»

فقال: «وهذا ما كنت أريدك أن تقوليه. ولكنني

كنت أظن أنني لن أعثر عليك بعد الآن لكي أسمعه منك.»

ونظر إليها بعنف وخشونة وقد تذكر مبلغ ما سببته له من قلق وألم.

ومضت لحظة لم يستطع فيها الكلام، ليقول بعد برهة بصوت غريب غير ثابت: «كيف أمكنك أن تجعليني أحس بكل هذه المشاعر؟ كنت أعتقد بأنني لن أقع في الحب بتاتاً، ولكن هذا ما حدث، وإن كنت لا أستطيع أن أصدق ذلك.»

فهمست قائلة: «لقد... لقد أخبرتك أن ذلك... مستمد من الليل... والنجوم.»

فقال: «أما الآن، فستقولين إنه مستمد من أكسفورد، الحقيقة، يا غاليتي، هو أن آتٍ منك أنت وهذا شيء لن أسمح بفقدانه أبداً، لأنني لن أستطيع العيش من دونك.»

فجعلتها طريقة كلامه هذا ترفع رأسها وتنظر إليه، فرأت على شفتيه ابتسامة لم تكن ساخرة وهو يقول بهدوء: «متى يمكننا أن نتزوج بأسرع ما يمكن؟»

عند ذلك، شعرت أوديتا وكأنها استيقظت من حلم كما حدث عندما رأته في الباخرة، وانتبهت إلى مبلغ ما كانت عليه من زراية شكل وتفاهة شأن.

ودون أن تفكر، نطقت بأول شيء تبادر إلى ذهنها:

«ولكن... ليس بإمكانك... أن تتزوجني.»

«لِمَ لا؟»

«لأنني لست... كما تظن... حتى انني لست كما أبدو هذه الليلة.»

فقال بهدوء: «إنك تبدين رائعة الجمال. وأنت في نفس الثوب الذي كنت ترتدينه عند أول لقاء لنا.»

www.rewayti.net

فصدر عن أوديتا صوت هو بين الشهقة والضحك.

«إنه... ليس هو نفسه... إنه نسخة مقلدة... وهذه أنا...»

فرأت أنه لم يفهم، فتابعت تقول: «لقد ذهبت إلى باريس بصفتي خادمة لصديقتي... بينيلوب والمر، والتي كانت ضيفة في السفارة الإنكليزية. بينما لم أكن أنا سوى ابنة كاتب. ولم يكن مسموحاً لي بالإشتراك في... نشاطاتهم الإجتماعية.»

كانت تتكلم بسرعة، فقد كانت تريده أن يعلم الحقيقة، وكانت كلماتها تتابع وهي تستطرد قائلة: «كنت قد غيرت من طراز بعض الأثواب التي ليست ملكاً لي. ولكن لأنها كانت رائعة الجمال... ارتديت واحداً منها مدعية بأنني... إمرأة يحق لها أن... ترتدي أمثال هذه الملابس.»

كانت تتكلم شاعرة بأنها تلقي بعيداً بحظها في السعادة، بعد أن يرى الإيرل مبلغ حقارتها.

وتابعت تقول: «وعندما رأيتني في الباخرة أتعارك مع ذلك الرجل المتوحش السوقيّ، كنت بشخصيتي الحقيقية، زرية الهيئة واللباس، لا شأن لي، ولا اسم يذكر.»

وعندما نطقت بآخر كلمة، خبأت وجهها بين كفيها وأخذت ترتجف بينما تدفقت عيناها بالدموع.

لقد خطر ببالها فجأة أنها كانت في منتهى الغباء إذ تخبره بالحقيقة، ولكن الإيرل كان من النبل بحيث لم تشأ أن تكذب عليه وتستمر في خداعه.

لأنها تحبه، عليها أن تكون معه نزيهة مستقيمة، ولو كان نتيجة هذا أن تفقده.

بقي لحظة صامتاً. وشعرت بنفسها تتعذب.

ثم قال بهدوء: «يا عزيزتي السخيفة. أتظنين بأنني أحبك لأجل ثوبك أو ما ادعيته من شخصية؟ إنني أحبك لذاتك. لأنه منذ اللحظة التي رأيتك فيها حدثني قلبي بأنني عثرت على شيء أمضيت حياتي أفتش عنه.»

فأطلقت أوديتا آهة عميقة. ولم تجرؤ على النظر إليه وهي تسأله هامسة: «هل... هل هذا صحيح؟»

فأجاب: «صحيح تماماً كما سأثبت لك. قبل موقفنا في تلك الليلة عند الشلال، وذلك بوقت طويل، أدركت أن الحظ يريدنا أن يكون الواحد منا للآخر.»

فسألته: «كيف تقول مثل هذه الأشياء... وما الذي جعلك تفكر بذلك؟»

«إنها الحقيقة، يا عزيزتي، وأنا أتحداك وأتحدى أي شخص كان، أن يقول اننا لسنا لبعضنا البعض وأنك لست الجزء غير المنظور من نفسي.»

وأخذت أوديتا تحدق فيها صامتة.

وعاد يقول: «والآن أخبريني... متى سنتزوج.»

«هل أنت واثق... واثق تماماً من أنك... تريدني...؟»

فأجاب: «إن تأكدك من ذلك سيستغرق وقتاً طويلاً. وربما قرناً من الزمان، إذن كلما ابتدأنا بسرعة، كان ذلك أفضل.»

كان يتكلم باسماً وقد فاض صوته بالرقة وبدا مفعماً بالحب ما لم تسمع شبيهاً له من قبل.

فقالت: «إنني لست ذات مركز اجتماعي مناسب... لك.»

«إنك مناسبة لي أكثر من أيّ إمرأة أخرى في العالم. وان هذا الأمر يتعلق بي شخصياً.»

فقالت: «إذن... فسأتزوجك. وسيكون هذا أروع شيء

www.rewayti.net

في حياتي. ولكن، إفترض... إفترض أنك بعد زواجنا... ستشعر بخيبة الأمل... وبالخجل بي؟»

فقال بحزم: «لن أشعر أبداً بخيبة الأمل. وأعدك بأن أكون بالغ الزهو بك... بجمالك... بكونك ابنة أبيك في الذكاء.»

وساد صمت بينهما يغني عن الكلام، قالت بعده: «علينا أن نعود... ولكن، أرجوك، لا تخبر أحداً هذه الليلة... عنّا.»

فأجاب: «كلا، طبعاً. فهذه ليلة أبيك المميزة. وعلينا أن لا نسلبه إياها.»

«ذلك ما أردتك أن تفكر فيه... وهذا شيء رائع منك.»

فابتسم، وأدركت أنه يفكر في أن أفكارهما قد تلاقتا في نفس الشيء.

قالت: «يبدو من المستحيل أن أكون كرهتك كما كانت أمي كرهتك سنوات طويلة.»

فكرر الإيرل كلامها بذهول: «كرهتني؟ ولكن لماذا؟ وكيف تعرفني؟»

فصدرت عن أدويتا صرخة صغيرة: «آه، لقد نسيت. لقد نسيت أنني لم أخبرك من هي أمي.»

فقال: «لم يسمح لنا الوقت بأحاديث طويلة. منذ توقفت عن اتخاذ شخصية أميرة فرنسية، لتأتي إلى أكسفورد مع أحد ألمع الرجال الذين أنجبتهم أكسفورد.»

فضحكت أوديتا، وهي تقول: «لقد كانت أمي من أسرة هاوتون.»

فهتف الإيرل: «هاوتون؟ هل تقولين إنها كانت من أقاربي؟»

«من الأقارب البعيدين تماماً.»

«ولكن ما الذي دعاكما، أنت وهي، إلى كراهيتي؟»

فتنهدت وهي تجيب: «منذ ثماني سنوات، كتبت أمي إليك تسألك إن كان لديك وظيفة تمنحها لأبي.»

فتصلب جسم الإيرل.

«لقد تذكرت. لقد تذكرت. وكنت رفضت ذلك.»

«إنك قلت في رسالتك بأنك تتبع نصيحة والدك بأن لا تساعد أقرباءك كثيري الشكوى.»

فقال: «إنني أذكر. أنا أذكر أنني كتبت تلك الرسالة.»

تنهد وقال بسرعة: «عليك أن تصفحي عني. ليس أنت من عليه أن يشعر بالخجل، بل أنا، إن سبب شعوري ذاك هو تلك المشكلات الكثيرة التي كان أقرباؤنا يسببونها لأبي.»

«لم يعلم أبي قط أن أمي كانت كتبت إليك، ولكنها تألمت جداً، وعندما... أخبرتني أنت باسمك في باريس، أردت أن أجعلك تشعر بالألم انتقاماً لأمي.»

فقال: «ولكنك، بدلاً من ذلك، سببت الألم لنفسك، ولكن يا غاليتي، وأقولها مرة أخرى، وبدون قصد، جعلت أباك هو السبب في لقائنا مرة أخرى.»

«لماذا منحته الجائزة؟»

«لقد كنت قرأت كتابه ورأيته رائعاً. عند ذلك أبلغت المدير أنني أريد أن أمنح جائزة لأي رجل سبق وانتسب للجامعة وأصدر مؤلفاً كهذا. وقد تلقيت عدداً من الكتب الأخرى لكي أقرأها، ولكن أياً منها لم يكن في مستوى كتاب أبيك إبداعاً وذكاء.»

فهتفت أوديتا مبتهجة، بينما تابع هو قائلاً: «ولكنني سأعود لتفسير أكثر إسهاباً للسبب الذي جعلني أكتب تلك

www.rewayti.net

الرسالة. لقد كان لدى أبي إثنان من الأقرباء قد سببوا له الكثير من الإزعاج، وقد توفيا لسوء الحظ، وقد أنفق على أحدهما مبلغاً باهظاً من المال بدده على اللهو، أما الثاني فقد كان ابن عم له أخذ يبتزه.»

فتمتمت: «ما أفظع هذا.»

فقال: «لقد جعل ذلك أبي بالغ الغضب، ولأنه كان أخبرني بما حدث، جعلني ذلك فترة من الزمن أتشكك في كل أقاربي خصوصاً أولئك الذين ابتدأت طلباتهم تتوالى عليّ حين ورثت أبي.»

فقالت: «يمكنني أن أفهم السبب الآن. ولكن ذلك كان فقط لأن أمي شعرت بأن أبي يضيّع افكاره هدراً في إدنهام ما منحها الشجاعة للكتابة إليك.»

فقال: «لن أصفح عن نفسي قط لإهمالي في الإستعلام عن أبيك في ذلك الوقت. ولكن ربما ستصفحين عني إذا أنا أخبرتك أن استحداث عضوية خاصة في الجامعة لأجله هو، كانت فكرتي أنا، كما أنني في الحقيقة، ساهمت في وقف مبلغ معيّن على هذا الأمر.»

فهتفت: «آه، شكراً، شكراً، هذا رائع. كيف يمكنني أن أصف لك مبلغ سعادتي لهذا؟»

«بالزواج مني في أقرب وقت. ذلك أن الأمور ستتعقد إذا كان أبوك يفترض أن تعيشي معه إذا جاء إلى أكسفورد.»

«لا أظن أنك... تهتم إذن... بأبي... بل بنفسك.»

فقال: «إنني أناني تماماً. حقاً. ولكنني أريدك الآن. هذه اللحظة، ولا أنوي الإنتظار.»

وكان في صوته نبرة حازمة ونوع من السيطرة ما جعلها

تبتسم، قائلة: «سأحاول أن أجعلك سعيداً. إني أحبك. إنك لا تتصور مدى العذاب الذي تملكني حين ظننت أنني لن أراك مرة أخرى...»

فسألها: «كيف أمكنك أن تقومي بعمل ماكر كهذا؟ فإذا كنت تعذبت، فأنا كذلك. وهو شيء لا أنوي الوقوع فيه مرة أخرى.»

وسكت برهة عاد بعدها يقول: «عندما تتركان هذا المكان غداً، يجب أن تأتيا معي إلى قصر هاوتون، أريد أن أريك بيت المستقبل.»

«ومتى تريد... الزواج؟»

«بعد غد. أو اليوم الذي بعده على الأكثر.»

فهتفت: «ولكنني لا أستطيع... لا أستطيع أن أتزوجك بهذه السرعة. ليس لديّ ما ألبسه...»

فضحك الإيرل: «إنها حجة نسائية تماماً.»

«ولكنني أريدك... أن تعجب بي، وتراني... حلوة جميلة. ولكن كيف يكون ذلك وليس لديّ سوى ثوبين، هذا الثوب وذلك الذي سأرتديه غداً.»

فعاد الدوق يضحك.

«يا حبيبتي الغالية. لقد كنت تستمعين إلى أولئك النسوة السخيفات في باريس واللاتي لا همّ لهن سوى ملابسهن. إنني أحبك في أي لباس ترتدينه.»

فاحمر وجهها، بينما ابتسم هو قائلاً: «لم أستطع أن أصدق قط أن لديك أميراً ينتظرك.»

«ولكنني... كنت أضع... خاتم زواج.»

«سأعطيك خاتماً حقيقياً.»

www.rewayti.net

فتألقت عينا أوديتا بينما تابع الإيرل يقول: «كما أنك ستحصلين على كل الملابس التي ترتدينها، من لندن. ثم إني أقترح، إذا كان ذلك يسعدك، أن نبدأ شهر عسلنا في باريس وسأشتري لك كل ما تريدينه من محلات وورث.»

فأخذت أوديتا تتأمل لحظة في ما يعني أن يصمم لها تشارلس وورث ملابسها والتي تعلم أنها ستبدو فيها في غاية الروعة والفتنة، وأجمل كثيراً مما كانت عليه طوال حياتها.

ثم رفعت بصرها إلى الإيرل، وقالت: «سيكون ذلك شديد البهجة. ولكن هذا لا يهم، في الواقع. لا شيء يهم سوى أنك تحبني... وستستمر في حبي كما أحبك... أنا.»

فأجاب: «كوني واثقة من ذلك. إني أحبك يا غاليتي، ولا شيء، حتى الثياب التي تعتبرينها ذات أهمية، تهم بشيء. إن الواحد منا للآخر إن قلبينا وعقلينا وروحينا هم واحد.»

فهمست بصوت يتدفق بالمشاعر: «أنا... أحبك ولكنني خائفة من أن أكون حالمة، وإنني سأستيقظ لأجد أن هذه حكاية أخرى من حكاياتي الخرافية.»

فضحك الإيرل وقال برقة فائقة: «إن الأحلام تتحقق، يا جميلتي. وهذه الحكاية حقيقية منذ الآن إلى أن تتساقط النجوم من السماء وينتهي العالم.»

ولقد تأكدت أوديتا بعد ذلك من أن كل هذا لم يكن حلماً، بل حقيقة واقعة.

تمت

www.rewayti.net